

مشاكل الشباب المعاصرة

تحت رعاية الإسلام

دكتور
عز الدين منصور



مكتب الجماهيرية ـ ص.ب: 2682 ـ برقيًا: الإسلامية ـ مبرق: 20407 ـ هاتف: 31021
طرابلس ـ الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية
مكتب ايطاليا ـ هاتف: 5894674 ـ 5895029 (06) تلكس: 622518 ISLAM I روما ـ ايطاليا

بسم الله الرحمن الرحيم

يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُوا الْأَلْبَابِ [1]

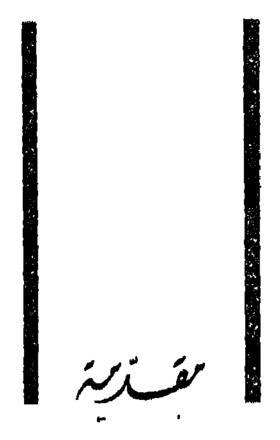
صدق الله العظيم

1- سورة البقرة "269"

الإيداع بدار الكتب الوطنية
بنغازي رقم 832 1990

الإهداء

أقدم هذه الدراسة لأبنائي وبناتي
راجيًا أن تجد صداها في قلوبهم وسلوكهم
والله يرعاكم ... والدكم



الحديث عن موقف الاسلام من الشباب هو حديث عن قلب البشرية النابض ، وسواعدها المفتولة ، وعقلها المتوقد ، وعزيمتها الصارخة ، وأداتها السليم ، وقوتها الضاربة في بناء صرح الحياة القويمة الدائمة التجدد والتطور ، ولهذا كانت عناية الاسلام بالشباب وتربيته وتنشئته تنشئةً سليمةً خاليةً من المشكلات التي تعوق نموه وتقف حائلاً دون تحقيق طموحاته ، ولذا جاءت منزلة الشباب المستقيم المثالي من بين الصنوف السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة يوم لا ظل الا ظله ، ولا رحمة الا رحمته ، ولا ملجأ منه إلا اليه كما جاء في حديث الرسول ﷺ.

ويلاحظ ان التنويه في الحديث عن النشأة يشعرنا بأنها لا تتم بين يوم وليلة ، ولا تظهر ثمارها الا بعد معاناة ليست باليسيرة ، بل فيها مجاهدة النفس ، وصراع دائم من أجل الأصلح ، ولكن فتن الدنيا لا تقف عند حد ، واغواءات الشيطان تجد في الشباب مرتعاً خصيباً لشن هجماتها المتتابعة على موقع افكار الشباب وعقائدهم ، وغرائزهم وأهوائهم المتأججة .

وعندما يستطيع الشاب أن يقف من شيطانه موقفَ المجاهد المجيد ، المدافع عن مبادئه وحياته وكيانه وإيمانه ، يكون قد انتصف لنفسه من شيطانه ، ونال مكانته العليا عند ربه .

وسأحاول ان أضع بين يدي القارىء كلَّ ألوان العلاج والنظم الاسلامية التي تتيح للشباب الاستقرار ، وتضيء له طريق الحياة السليمة البعيدة عن مزالق الشيطان ، وأهواء النفس ، وتجعله يحمل الامانة وهو بها راض ، وعليها محافظ ، ويسير منطلقاً نحو تحقيق اهدافه متسلحاً بأرقى الانظمة في العلاج السلوكي والنفسي، وكما هو معلوم أن هذه المرحلة هي أخطر مراحل العمر في التكوين ، ولهذا كانت عناية الاسلام بالشباب عظيمة ، وشاملة ، فهي تنقذه من وهدات المجتمعات الزائفة والمضلة ، وتجعله قادراً على رسم طريقه الصحيح في أي مجتمع ، وفي أي عصر ، شامخاً كالطود لا يُذَل . « إن الحياة معظمها حرارة وقوة وضوء : حرارة في الشباب ، وقوة في عنفوان الرجولة ، وضوء في السنوات التي تلي سن الخمسين ، والحرارة تهدي للخيال والبسالة و الحب ، والقوة للعزة ، وذيوع الصيت ، اما الضوء فيكشف الاشياء على حقيقتها ، وتأتي اول ما تأتي السنوات المملوءة بالحرارة ، تتلوها سنوات القوة ، وفي نهاية الجميع سنوات الضوء ، وعلى هدى سنوات الضوء نقيس الشؤون الكونية ولكي تفيد أكبر فائدة من خير سني العمر عليك أولاً أن تسلط الضوء على نفسك لتعرف من أنت ؟ »[1] .

ولنسأل اين شبابنا من الاسلام ؟

ان الواقع المؤلم يفرض نفسه ، ويطلب منا أن نكون صرحاء مع أنفسنا ، وأن نكشف عن الاهمال الضارب جذوره في اعماق البيت المسلم. ان التبعة الاولى تقع علينا نحن الآباء والأمهات ايضاً ، فقد كشفنا عما في نفوسنا من ضعف الايمان ، وعدم التمسك بأهداب الفضيلة والكرامة ، والتراخي في عبادة الله وتنفيذ اوامره أمام أبنائنا ، ونحن القدوة الحسنة لهم ، ومن شب على شيء شاب عليه ، كما اننا سمحنا

---

1 ـ خير سني العمر ـ والتر . ب بتكن . ترجمة اللواء عبد المنصف محمود وأمين عبرت الغندور ـ سلسلة الشرق والغرب ـ القاهرة .

لوسائل الاعلام البعيدة عن الدين ان تخترق حواجز منازلنا ، وتستقر امام أعيننا دون أن نحرك ساكناً ؛ كما اننا ساعدنا على جلبها من جميع جهات العالم ، واحضرناها لهم لمشاهدتها معنا ، سواء أكانت مجلات او شرائط مرئية ومسموعة لعل ذلك يحدث عن جهل تحت اسم مستعار هو التسلية البريئة ، ولكنها للأسف عند اولادنا دروس مفيدة للانحراف والبعد عن الاسلام .

ان اتهامنا بالتخلف لعدم وجود هذه السموم عندنا خير الف مرة من ضياع الاسرة كلها ، ووقوعها أسيرة الشهوة والاخلاق الفاسدة ، والبعد عن الدين .

واذا اضفنا الى هذه الموبقات الداخلة في نطاق الأسرة غيرها من خارج الاسرة نتيجة التحام الشباب بسواهم في المعاهد والمصانع والتجمعات البشرية العديدة تتضح امام علمائنا الرؤية كاملة لانحراف الشباب عن الاسلام ومبادىء الاسلام .

ولا يعني هذا الحكم تجرد البيئة المسلمة من كل معاني الاخلاق والدين ، بل بعضها غَنِيٌّ بها ، ومثاليٌّ أيضاً في حياته التي يغمرها روح الاسلام وفضائله .

ومظاهر هذا الضعف تكمن في تشكك الشباب في مقدرة الدين على معالجة كلِّ المشكلات العصرية الحديثة ، ان هذه نافذة خطيرة دعت اليها أجهزةُ الاعلام غير المسلمة وكُتُبُ المستشرقين والمستعمرين الذين نسبوا تأخر المسلمين الى تعلقهم بالاسلام .

كما ان الشباب يتصورون ان الاخلاق شيء يمكن فصله عن الدين ، ففساد الاخلاق ، وتشبه الرجال بالنساء ، والنساء بالرجال ، وغير ذلك من الموبقات المنتشرة في كل مكان لا تتعارض في زعمهم مع تعاليم الدين وأركانه .

كما ان بعض الشباب اكتفى بالسلبية ازاء الاسلام ، فهو لا يؤدي منه شيئاً مكتفياً بأنه يحمل قلباً سليماً ، ونية صافية من الادران ، فهو لا يرتكب سوءاً ولا فحشاً ، وهو أيضاً لا يصلي ولا يصوم ، ولو كان له قلب سليم لأدى واجبه نحو خالقه ، وبعضهم الآخر يكتفي بأنه حمل اسماً من أسماء المسلمين وحشر في بيئة مسلمة ، وكفى بهذا فخراً انه من أمة الاسلام . وأصبحت نظرة بعضهم الى الاخلاق والدين مرتبطةً بعجلة التأخر في مجال التحضر البشري .

وما زالت بعض النظريات الخاطئة في التربية والتعليم تسير وتطبق في بعض معاهدنا وجامعاتنا ، منها قَصْرُ تعليم الدين على مراحل ما قبل الجامعة ، وقد اهتدت بعض الجامعات الى الخير ، فاستنارت بنور الايمان في نظمها الجامعية ، وصبغت الحياة الجامعية بكل ما فيه خير للشباب والامة الاسلامية .

وقد أسهب الاستاذ الرافعي في توضيح العناية بالشباب ورعايته من التيارات الفكرية البعيدة عن الاسلام ، ومن انغماسه في الرذيلة نتيجة الإباحية وتقليد أوروبا . فالشباب مخلوقون لغير زماننا ، وعليهم تقع تبعات استقلال البلاد من أيدي الأوروبيين ، لا أن يكونوا خاضعين لهم أو مقلدين لمساوئهم .

«... ان الفضيلة فطرة لا علم ، وطبيعة لا قانون ، وعقيدة لا فكرة ، وأساسها اخلاق الدين لا آراء الكتب »[1]. وعلينا ان نطبق ذلك في معاهدنا ، فهي في حاجة ماسة الى تطوير شامل يعتمد على جعل التربية الدينية سلوكاً تطبيقياً داخل المعاهد وخارجها ، وان يقترن بالتطبيق وجود النموذج الصالح والقدوة الحسنة حتى يحس شبابنا بحقيقة الاسلام ، واهميته في كل مكان : « ويؤكد الواقع انه ليس لأي عامل من عوامل

---

1 ـ وحي القلم ص 161 .

الحركات الانسانية مهما بلغ من الدقة و التنظيم أثر أقوى وأبلغ وأشد فاعليةً في توجيه البشر من الإيمان ، وان كل ما عداه من العوامل التي أحلّها البشر محل العقيدة واعتبروها ذات أثر في حركات الافراد والجماعات . انها تتفاوت من حيث القوةُ والضعفُ بمقدار ما بينها وبين الايمان من المشابهة في تمكنها من باطن السريرة ، وأصل الشعور .

ان الإيمان ينشيء في الانسان ضميرًا واحدًا لا يعتريه ضعف أو انهزام، ولا يتبدل وفق تبدلات الزمان والمكان، ولا يتكيف بحسب البيئات والنظم، انه في يقظة دائمة وتنبه مستمر. يرصد نوازع الشر، ويحذر خداع النفس ، ويتبين حقيقة الهوى ، ويرقب نزغات الشيطان »[1]ان شباب اليوم لايتمتع بهذا الايمان ، فهو يتحرك مثل طاحونة غير مثمرة ، تدور في فلكها بغير ذاتها ، انها ترسل صوتاً يثبت مكانها الاسميّ لا الفعلي .

ان شبابنا في حاجة إلى ترسيخ عقيدته وتنميتها في كل حين ، ومع كل حادثة تمر به ، فاذا انهزم المسلمون في معركة ما ، او حلت بهم كارثة فيجب على الشباب ان يتدبروا الامر ، ويدرسوا أبعادها ، ويتعرفوا على أسبابها ، ويصنفوها ، ويضعوها في مكانها الصحيح .

إن تتبع الاسلوب العلمي المنظم في مثل هذه الظروف، ومع تلك الاحداث كفيل بالحصول على نتائج عملية يحصدها الشباب وسيتضح لهم ان ما حدث من كوارث ومحن سببها ترك تعاليم الاسلام ، ولنا فيها يؤيد ذلك من تاريخنا اكبر إدراك على التبصر بحقائق الامور .

واذا عرفنا ان اسلافنا كسبوا جولات عديدة بسبب ايمانهم بالله ، فلا بد لنا ان ننهج نهجهم ، ونتبع خطاهم على درب الحق والمنعة الاسلامية الكامنة في الاعتصام بالله ، حتى ننال ما كان لهم من سؤدد على اكبر دول العالم .

---

1 ـ المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية ـ عمر عودة الخطيب . مؤسسة الرسالة . بيروت ـ ص 204 . نقلاً عن كتاب الأسس النفسية والتربوية د/ عمر التومي الشيباني ص 631 .

ان الخلل واقع منا بسبب بعدنا عن الطريق المستقيم ، وغيرنا عقد العزم عليه فهداهم الله اليه .

ونحن اليوم نكرر دعاء الاستقامة في صلواتنا دون مبالاة بالجانب الايجابي النابع منا . والمطلوب اليوم أن يتحرك شبابنا نحو التطبيق العملي في طريق الاستقامة بالامر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، بالتثبت من ايمانهم وصدق يقينهم ، بالجهاد في سبيل الله ، وبذل النفس والنفيس في سبيل إعلاء كلمة اللّه ، (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ)[1] ، إن البشرى قائمة بوجود الايمان الكامل ، والعقيدة الراسخة ، فهي الركيزة الكبرى لنشر كلمة الله ، ورفع راية الحق والنصر . واذا عدنا الى طريق الحق بدّل الله ـ سبحانه ـ ما في نفوسنا من ذلة وهوان الى عزة وقوة ، وهو يقول : (اِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[2].

ولهذا نقول للمشككين في العودة الى سابق عهدنا بالاسلام :

إن الشاب المسلم الذي رُبِّيَ تربية حسنة ، فسلم جسمه وعقله وروحه من الزيغ والضلال وشبهات الملحدين ، وتهويمات الفكر المسموم والنظريات الباطلة الهادفة الى ايجاد هوّة كبيرة بين المؤمن ودينه ، لكفيل به ان يرفع رأسه عالياً وينطلق في خضم الحياة ، فلن يجد الا العزة والكرامة وهيبةَ الأعداء له مهما تطاولوا ، ومهما ادّعوا تفوّقهم المادي ، فهم يعلمون ان المسلمين الاوائل حققوا انتصاراتٍ باهرةً على دولتيْ الفرس والروم بقوة عددية ، وعتاد حربي اقل بكثير جداً مما كان عليه اعداؤهم ، وهم يعرفون ايضاً ان المسلم اذا دخل معركة فهو في نشوة حلوة جميلة لا تعلوها نشوة ، سواء أكُلِّلَ النصر ام بالاستشهاد . فكلاهما مصدر خير وسعادة ، ومن فرط ما هو فيه من الخير يتمنى الشاب ان يُقتل ثم يُحيا ، ثم يُقتل ثم يُحيا بلا نهاية.

وما ذلك الا لقوة عقيدته ، وايمانه بما في ذلك من نعمة فائقة ، وسعادة

---

(1) سورة الروم الاية: 47.

(2) سورة الرعد الاية: 11.

غامرة ، يود أن تستمر معه في كل معركة فينعم فيها برضوان الله .

واذا كان هذا هو حال المؤمن فكيف لا يخشاه عدوه ، يحاول ان يصرفه عن مصدر هذه القوة ، فيسلبه اقوى سلاح لديه . ان شبابنا اليوم يجب ان يدرك هذه الحقائق ، ويميز ما يقع بين يديه من ألوان الثقافات المختلفة حتى لا يقع في شباك عدوه ، فيصبح مسلوب الارادة ، ضعيف الايمان ، مزعزع العقيدة .

ان الشاب المسلم عليه ان يعرف حقيقة وجوده، والحكمة الكامنة وراءها ، فهو ماخلق للعب واللهو والإفساد في الارض واشباع غرائزه التي لا تقف عند حد ، بل عليه ان يتذكر قول الله تعالى : (وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ* مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ* إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ*)[1]، وبهذا يعرف إن كان مؤمنًا حقًا أم مجرد ادّعاء الى حظيرة الاسلام . إن كلّ عبادة يؤديها المسلم تضيء له الطريق نحو مُثل عليا يتحلى بها ، فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، والصدقة تطهر وتزكي النفس ، والصيام يجعلك من المتقين، وهكذا الى آخر العبادات التي فرضت علينا أو استنّها الرسول الكريم وتعلقت بحق الله ورسوله او تعلقت بحق العباد مثل صلة الرحم ، وبر الوالدين ، او تعلقت بالسلوك الانساني او المبادىء والقيم الإنسانية مثل الوفاء بالعهد والبر والصدق والأمانة والمروءة والرحمة وغيرها من الاعمال والسمات التي يعمر بها الكون ، ويصبح مصدراً للخير ، ومفتاحاً لتحقيق العدالة ، ونشر دين الله بين العباد . والطاعات لا حدود لها في تقويم الشاب ، فهي تعمل على تغيير السلوك الشائن الى سلوك طيب قال الله تعالى لرسوله الكريم : (ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ)[2]وهي دعوة عامة إلى البحث عن الامثل في المعاملات الانسانية التي ينبني عليها كلّ مقومات الحياة الدنيا.

---

(1) سورة الزاريات الآية: 58.　　(2) سورة فصلت الآية: 34.

وليس بِخَافٍ ما عليه شبابنا اليوم من معاملات انسانية او لا انسانية ، وما عليه الأعداء من كيد وتربص بنا ، واذا كنا نناقش واقعنا وهو بين أيدينا فليس بمستعصٍ على كل حصيف أن يدرك الهُوَّةَ الكبيرة التي بين بعض شبابنا وبين الإسلام.

وقد عرضنا بايجاز لهذه الاسس التي وضعها الاسلام لتتم حلقة الاتصال ، ويكون شبابنا المسلمون خير امة اخرجت للناس .

القسم الأول

التكوين السليم للشباب

تمهيد

يلاحظ ان تكوين الشاب منذ طفولته خال من كل الاهواء المكتسبة ، والصراعات المضطربة في نفوس البشر اليوم ، فهو لبنة يسهل تشكيلها حسب رغباتنا ونزعاتنا ، فـ«كُلُّ مولود يولد على الفطرة/وأبواه يهوِّدانه أو يُنصِّرانه» وعملية التهويد او التنصير هنا لا يتقبلها المرء الصغير باقتناع منه بل بالتغيير العملي من قبل والديه بما يشبه التلقين ، او هو التلقين الفعلي لعقيدته .

ولهذا اقتضت حكمة التشريع الاسلامي ان تضع ضوابط لسلوك الشباب وصحته وعلمه وتفكيره حتى تنير للشباب الطريق الأقوم لحياة علمية وعملية وفكرية وانتاجية . .

ويستطيع بذلك ان يحافظ على ما لديه من تركيبات جسمانية وعقلانية بعيدة عن الضرر او التلف . خاصة في مرحلة التكوين الاولى التي تُعَدُّ ذخيرة لدى الشباب ، وعليه ان يدَّخرها لهرمه بالحفاظ عليها وتنميتها تنمية سليمة ، فيظل الشاب قويَّ البنيان ، سليم العقل ، موفور النشاط ، بعيداً عن الاضطرابات العصبية ، والصراعات الفكرية ، فيُقبِل على عقيدته بتروٍّ وتعقل ، وتبصر بأمور دينه ، وبذلك ترسخ عقيدته ، ويشرف على متطلباتها وحمايتها من نزغات الشيطان ./

والشاب عندما يُقْدِمُ على ذلك فقد وضع حداً لمشاكله المعاصرة وعرف كيف يعالجها ، ويواجهها دون ان تؤثر فيه تأثيراً سيئاً ، او بعيداً عن روح الاسلام .

تنظيم دوافع الشباب

لعل اهم ما يعترض طريق الباحث في مجال الشباب هي مجموعة الغرائز الانسانية الفائرة في تلك المرحلة .

وكونها في قمة نضوجها في الشباب يدفعنا الى احتساب كلِّ الخطط التربوية السليمة التي تضمن استهلاك كلِّ هذه القدرات في مجالها الطبيعي ، او بمعنى اصح تنظيمها ، وتشغيلها في وضعها الطبيعي ، او العمل على حدِّها بوسائل طبيعية لا تؤثر على كيان الشباب ، ولا تدفع بهم الى الانحراف من مزالق الشهوات غير المشروعة .

وقد وضع الرسول الكريم ﷺ قانوناً ينظم له هذا الدافع ، ويجنبه الكثير من المتاعب ، فقد جاء في صحاح السنة عن ابن مسعود ان رسول الله ﷺ قال : « يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءةَ فليتزوج، فانه أغض للبصر وأَحْصَنُ للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فانه له وجاء». كما حثّ الرسول الكريم الشباب بأحاديث أخرى تتسم بالاغراء، فقد رُوِيَ ان النبي ﷺ قال : « الدنيا متاع ، وخيرُ متاعها المرأةُ الصالحة»، وعن ابن عباس رضي الله عنهما - ان النبي ﷺ قال : « ألا اخبركم بخير ما يكنز المرء ؟ المرأة الصالحة اذا نظر اليها سرّته ، واذا غاب عنها حفِظتْه ، واذا أمرها أطاعتهُ»[1] وروى قتادة ان النبي ﷺ نهى عن التبتل اي عدم الزواج ، ثم قرأ قتادة : (وَلَقَدْ اَرْسَلْنَا رُسُلاً مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ اَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً)[2] صدق الله العظيم .

---

(1) رواه مسلم.   (2) سورة إبراهيم الآية: 38.

هذه الآيات والاحاديث لم تصادر فطرة الانسان التي تميل إليها النفس البشرية عامةً والشبابُ بصفة خاصة وأهمُّهـا المتعةُ الجسـدية ، وزيـادة الخير ، وكثرة الأولاد ، ومنها ايضًا قوله تعالى: (إِنْ يَكُونُوا فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ)[1] ،وقوله سبحانه: (ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا..)[2].وقد علمنا ان المرأة خير متاع الدنيا ، وانها كنز ، وهي خير ما يكنز المرء في حياته .

ومما يرثي له اليوم ان القيـود الاجتماعيـةأفقدتالشبـاب كلَّ هـذه الميزات ، فلا يكاد الشاب يحصل عليها الا بشِقِّ النفس لقلة المال ، فمن أين له كلُّ هذه التكاليف المفروضة عليه التي تقف حائلاً في طريق زواجه ، وتسبب له الكثير من المتاعب الجسمية والصراعات النفسية التي قد تقذف به أحياناً الى طريق الشوك والفحش ، او يبقى مريضاً معتلاً نزيلاً في إحدى المصحات . واذا عدَّدنا اسباب الانحرافات في الشباب فالقسط الاوفر منها ، أو جلها ، يرجع الى هذه القيود الاجتماعية المسرفة الباهظة التكاليف ، والتي تحِدُّ من الزواج ، وتمنع المتعة الحلال .

والحديث الاول جاء النداء فيه صريحاً موجهاً للشباب : من استطاع منكم البـاءة اي تكلفة متـطلبات الحيـاة الزوجيـة من إعـداد المسكن المناسب ، والقدرة على الانفاق ، وتحمل تبعات الزوجة ، اذا تمَّ هذا الاعـداد فليتزوج ، وقـال أيضاً في مجـال التخفيف من اعباء الزواج: « التمس ولو خاتماً من حديد ». والزواجُ ارتـواءٌ جسمي ونفسي يحفظ الشباب من المحرمات ، ومن النظر الى ما حرمه الله ، وليس المراد غضَّ النظر فحسب بل وما يتبع ذلك من الشهوات ، فالاشباع الجنسي من منزل الزوجية لا يجعل الشاب يفكر في غير زوجته التي اختارها بمحض إرادته ، وأقبل عليها بكل احاسيسه ووجدانه « اذا نظر اليها سرته ، واذا غاب عنها حفظته ، واذا أمرها أطاعته » والشاب اجتماعي بطبعه ، وخير من يختلط به الانسان هو الشخص الأمين الكريم النفس المدافع عن اخيه

(1) سورة النور الآية: 32.

(2) سورة الكهف الآية: 46.

الانسان . ويأتي الجانب الاخير في الحديث ، وهو يعالج احساس الرّجل برجولته وقوامه على امرأته في قوله : « اذا أمرها أطاعته »، والطاعة هنا بعيدة عن الاستعباد ، فهي استجابة تامة من الطرفين فيما فيه خير لهما وللمجتمع ، وهي لا تنفي شخصية الزوجة ولا تمحوها فهي شابة طموح، لها فكرها ورأيها وحصافتها وامكاناتها ، وحتى لا يحتدم الخلاف ، وتكون هناك قيادة حكيمة في هذه الاسرة المستحدثة يتطلب الامر وجود قائد حكيم حازم عطوف يرعى الأسرة ، ويحافظ على مستقبلها ، ويوفر لها الامن والاستقرار ، ويوفر لها رغباتها : (**ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ**...)[1] واذا كان خير الدنيا الشاب الصالح فخير متاعها للمرأة هو نفسه ، فقد روى عن الرسولﷺ قوله : « اذا اتاكم من ترضون عرضه ودينه فزوجوه إنْ لا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير »[2]، وقد نهى الرسول الكريم عن التبتل ، فماذا يفعل مثل هذا الشاب؟!

يلاحظ ان الرسول اشترط صلاح الزوجين ـ فيما سبق من أحاديث ـ إذ فيهما يكمن سر الحياة السليمة للأسرة ، واستقرارها ، وبناء أجيال صالحة تحمل سمات الوالدين ، وأشار الى ذلك الرسول الكريم في قوله : « تخيَّروا لنطفكم فإن العِرْقَ دسَّاس » ، وهنا تتجلى عظمة التربية الاسلامية في تكوين الاسرة السعيدة المبنية على الصلاح والتقوى الخالية من الامراض النفسية والجسدية .

بقي صنف واحد من الشباب ، وهو غير القادر على تكاليف الانفاق و إعدادبيت الزوجية ، ماذا يفعل حتى يحفظ عليه نفسه ودينه من الضياع والتمزق ، أجاب الرسول الكريم عن ذلك بقوله: « ومن لم يستطع فعليه بالصوم فانه له وجاء »[1] والوجاء هو القطع والحد من الشهوات المتأججة في

---

(1) سورة النساء الآية: 34.

(2) صحيح مسلم ص 2، ص 1018ط القاهرة.

(3) صحيح مسلم جـ 2 . ص 1018 ـ القاهرة .

الشاب ، وهذا التنظيم السليم لحيويته يحفظ عليه صحته ، ويقوّى به دينُه ، وتسمو به روحه ، وتفكيره ، وترتقي به ارادته ، ويجعل للعقل سلطاناً على نفسه ، وقد اخبرني بعض الشباب انه يصوم ويكثر من الصوم ، ولا يجد فائدة يرجوها منه ، ولما استفسرت منه عما يفعله بعد إفطاره علمت انه لم يصم سوى انه وضع نظاماً جديداً لمواعيد طعامه وشرابه ليلاً ، فهو بذلك جعل نهاره ليلاً، وليله نهارًا، فلم يجن من صيامه ما يرجوه من هذه الفوائد السالفة ، ولما عرف الحكمة الكامنة في الصوم من الامتناع نهاراً والاقلال ليلاً جاءت الفائدة ، وأحس بالتغيير المطلوب ، فالشاب يقوم بأداء واجبه كالمعتاد ، ويصوم اياماً تتناسب مع حِدَّةِ الشهوة لديه ، حتى يحافظ على بدنه من الامراض ، وعلى نشاطه العملي من النقصان ، وهذا الصيام ليس أبدياً ، فقد نهى عن ذلك الرسول ﷺ.

وبهذا توجد عدة حوافز للشباب حتى يسارع الى الاعداد للزواج والإقدام عليه دون إبطاء .

ولعل في هذا الحرمان المؤقت دافعاً كبيراً الى مضاعفة الانتاج حتى يجني ثماراً طيبة ويفوز بخير متاع الدنيا . هذا هو التنظيم السليم لبناء الاسرة ، والمنهج القويم للتشريع الاسلامي ، وهو « يؤدي دوره النفسي ، ودوره الآخر الاجتماعي انما يؤديهما عن طريق التطور النفسي ، وليس عن طريق الالزام الخارجي ، فهو لا يفرض ولا يلزم من خارج الذات ، وانما يجعل الذات هي التي تتحرك وتسير نحو الهدف المطلوب في يسر ، وفي رغبة ، بل وفي اندفاع في الرغبة . والنهي والامر في هذا المنهج ، اي النهي عن فعل ظواهر المجتمع الانساني او الاسلامي وصفاته ـ كل منهما تعبير عن وضع نفسي قائم بالفعل ، وصلت اليه نفوس الافراد بعامل التحريك الذاتي ، اي ان النهي والامر في حينهما يصادفان قَبولاً واستعداداً نفسياً ، فاللحظة التي ينهى فيها القرآن المؤمنين عن فعل شيء كان يفعل فيما مضى . . . يصادف فيها هذا النهي استعداداً نفسياً تكون قد وصلت اليه النفوس بالفعل وتكونت فيها رغبة عما

نهى عنه الآن . وكذلك شأن الامر بشيء ما . فان اللحظة التي يأمر فيها القرآن بفعل شيء مرغوب فيه تكون النفوس حينئذٍ قد وصلت بالفعل الى الرغبة في عمله .

وهذا هو الفرق بين التطور النفسي والالتزام الخارجي في التطور النفسي . لا يصادف النهي والامر عقبة او فراغاً في النفوس ، وانما يصادف وضعاً نفسياً ملائماً للنهي أو للأمر بينما في الالزام الخارجي يصادف النهي والامر فراغاً في النفوس او عقبات فيها . أي لا تكون النفوس على استعداد آنئذ لتقبل النهي او الامر والرضا بهما »[1]. ونقيس على هذا التكيف النفسي أقوال وأفعال الرسولﷺ وكذلك إقراره غيره عليه ، ولهذا نرى ان كثيراً من التشريعات الاسلامية تمت ووضح حكمها بعد حدث معين ، او ظاهرة معينة ، فعندما يقول الرسول الكريم للشاب الفقير المقبل على الزواج : «التمس ولو خاتماً من حديد» انما يراعي التيسير على الشاب والشابة ، وتحطيم العقبات الاجتماعية القاسية ويتم بذلك اللقاء المرجوُّ في ظل التشريع الاسلامي ، فكلاهما في حاجة ماسة الى من يسكن اليه .

وعندما يبيح الرسولﷺ للشاب الذي يريد الزواج أن ينظر الى مَن اختارها أو فكّر في اختيارها انما يفعل ذلك حتى لا تشيع الفاحشة بكثرة الطلاق ، وعدم التوافق بين الزوجين وعندما يكون النظر للاستمتاع فقط فهو حرام قال تعالى : (﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ﴾[2] ...) ولم يخلق الشباب للمتعة والزواج فقط بل طلب منه الكفاح من أجل البقاء النقي من أدران الشهوة ، ومن مفاتن الحياة ، ويوازن بين خيريْ الدنيا والآخرة ، ويعمل ويكافح ، ويدع ما يريبه إلا ما لا يريبه . وهذه سمات الاخلاق الاسلامية التي تخاطب الجسم والروح ، وتعمل على

---

1 ـ ظاهرة في القرآن الكريم واحدة وتفسيران مختلفان والحقيقة غيرهما ـ د/ محمد البهي ـ مجلة الوعي الإسلامي عدد 107 نوفمبر سنة 1973 ص 10 نقلها الدكتور عمر الشيباني في فلسفة التربية الإسلامية ط 2 ص 261 . 262 ـ طرابلس .

(2) سورة النور الاية: 30.

إسعادهما ، ولا يكون واحد منهما عبئًا على الآخر، فلا تضحية بالجسم في سبيل متعة روحية ، فلا رهبانية في الاسلام ولهذا امر الرسول الشباب ان يتزوجوا ، ويشبعوا رغباتهم عن طريق مشروع ، ولا يُهدر الروح في سبيل حياة بهيمية لا يقرُّها الاسلام ، فالاسلام ينظر الى الشاب نظرة شاملة واعية ذكية ، فاهتم ببناء روحه وعقله وجسمه ، ووفّق بينها جميعاً . ففي الحديث السابق حدد الرسول صفات الزوج بأنه الذي نرضى عن دينه وعرضه ، وحدد صفات الزوجة بأنها امرأة صالحة ، وهذه التربية الفاضلة للطرفين لا تأتي من فراغ بل لا بد ان يكون قد سبقها معاناة من المسؤولين عن تكوين الشاب وتزويدهم بحصيلة وافرة من التربية الدينية السليمة والاخلاق الفاضلة التي تتشربها قلوبهم ، وتصبح هي ركيزتهم في هذه الحياة ، ويستطيع الشابُ منهم ان يتبصر قول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُوا لاَ تُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُوا إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾[1]، ويستطيع ان يتمثل الطريق الاصوب في قول الرسول المعلم : « ليس خيركم من ترك الدنيا للآخرة ، ولا الآخرة للدنيا ، ولكن خيركم من اخذ من هذه وهذه» وفي رواية اخرى « خيركم من لم يترك آخرته لدنياه ولا دنياه لآخرته ، ولم يكن كَلاً على الناس» فالحياة الدنيا ليست اشباعاً للغرائز فحسب بل عمل وكفاح وعبادة يستقيم معها امر الكون ، وتنعم البشرية بعطاء الشباب ، وبجانب هذا يعرف الشباب طريقهم نحو الله ، ومن هنا جاء النهي عن الاسراف في المتع ، وأشار اليها القرآن الكريم في قوله سبحانه: ﴿... وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾[2]، وختام الآية: ﴿إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ ليس في الطعام والشراب فحسب بل في كل شيء سواء أكان من أمور الدنيا أم من أمور الآخرة كما وضح ذلك من الحديث السابق «ولكن خيركم من أخذ من هذه وهذه».

وعلى هذا المنهج الإسلامي القويم يسير شبابنا، فيأمنون

1 ـ سورة المائدة آية 87 .

2 ـ سورة الأعراف من الآية 31 .

المتطرفين المخلين ، أو المتشددين بلا داع إلى التشدد ، قال تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا...)[1] صدق الله العظيم .

وفي تصوري ان ما قيل في تنظيم غرائز الشباب الى اليوم كلّه او جلّه مقتبس من التشريع الاسلامي الذي حمى البشرية من الانحراف ، ورفع مكانتها من البهيمية الى الانسانية ، فقول علماء التربية إن « كل غريزة تتجه الى غاية بيولوجية معينة ، فغريزة الهرب تتجه الى المحافظة على النفس ، والغريزة الجنسية الى التناسل ، وغريزة الامومة الى العناية بالصغار ، وغريزة الاستطلاع تتجه الى اكتشاف كل غريب لاتقاء المخاطر ، وقد اوضح مكدوجل ان الغرائز قد يعاد توجيهها الى غايات اخرى ارقى »[2] ولو حذف لفظ (قد) لكان أصوب .

ان هذا الحديث ليس بجديد ، فالاسلام نظّم الغرائزَ اولاً في مجالها الطبيعي ، وسنّ لها القوانين من الانحراف ، وحدد للشاب طريقه لإشباع غرائزه في أوجهها الصحيحة دون كبت لها او حرمان ، ومن هذا المنطلق لا نجد كبتًا او حرماناً يؤثر على اعصاب شبابنا ، بل يسير الشاب في مواكب الحياة من فرد مستقل الى اسرة صغيرة ، ومن انسان له طموحات شخصية الى شخص جماعي له طموحاته الجماعية ، ومسؤولياته المتعددة تجاه نفسه واسرته ومجتمعه ، وبهذا التطور في الحياة السديدة يتم معه تطور في غرائزه ، وتعديل لها ، وتسامٍ بها الى ارقى وافضل مما كانت عليه ، فالخوف على حياتنا وذاتنا وما نملك يدفعنا دائماً الى اليقظة العقلية استعداداً لدرء الخطر ساعةَ حدوثه ، وذلك بتصحيح مسار الانسان نحو الطريق القويم ، فالخوف من الوقوع في الخطيئة يجعل الغرائز تسير في مجالها الطبيعي حسب ما حدد لها من قوانين دينية وطبيعية هيئت لها، واكتملت بها ، ولهذا جاء الدين دينَ فطرة سليمة عامة صالحة لكل زمان ومكان (..فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا...)[3]

---

(1) سورة البقرة الاية: 143.

(2) علم النفس الاخلاقي ـ ج . أ . هادفيلد ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم ص ٢٥ ـ القاهرة يراجع آرائهم عن التسامي للغرائز من ص 204 ـ 225

(3) سورة الروم الآية: 30.

وعلى هذا فالشاب المؤمن لا يُقبِل على الزنى ولا السرقة ولا القتل ، ولا غيرها من الجرائم ، فالغرائز في الاسلام لها مسار طبيعي ، والشذوذ خروج عنه ، ومتبعه يُعَدُّ من اصحاب الدوافع المريضة ، ويأتي السموُّ بالغريزة ليجلب للشاب السعادة في حياته « فمن الصواب مثلًا ان نكون على استعداد لاحتمال العذاب من اجل عقيدتنا ، وان نجد في هذا العذاب سروراً ، ولكننا اذا تعمدنا ان نضع انفسنا في مواقف نتلقى فيها الاهانات لنلتذ بالاشفاق على الذات او تمثيل ادوار الشهداء فسوف يكون فعلنا أثرة واسرافاً في إمتاع بلا نفع للغير ، ولو قدمنا اجسامنا للاحراق وبعض الغرائز كغريزة الامومة وغريزة القطيع تبدو غيرية الجوهر ، ولكن هذه الغرائز نفسها قد تصبح اثرة اذا أسيء توجيهها . . .

ليس معنى الغيرية اننا نفعل من اجل الغير اموراً ثقيلة على انفسنا ، بل الغيرية هي ان نجد السرور فيما نفعله من اجل الغير ، وتحديد ان نشاطنا اثر او غيري لا يتوقف على كون التعبير عنه مُلِذًا او غير مُلِذّ ، بل يتوقف على الغاية التي توجه الينا ، فاذا كان ما نفعله موجهاً توجيهاً شعورياً نحو سعادة الغير فهو غيري ، واذا كانت الغريزة موجهة نحو امتاع الذات فحسب فهي أثرة . لهذا نتقبل الغيرية على انها قانون اسمى من الاثرة ، ويشجعها القطيع لأنها تحترم غايات اجتماعية بقدر ما تمنح الفرد مسرة »[1]

---

1 ـ المصدر السابق ص 234 . 235 .

رعاية الإسلام لصحة الشباب

ننطلق في هذا الموضوع من قول الله تعالى: (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ *)[1]، وقول الرسول ﷺ: «المؤمن القويُّ خير واحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»، وقوله تعالى: (...وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...)[2] وقول الرسول الكريم: «المعدة بيت الداء» وقوله: «النظافة من الايمان» وقوله ﷺ: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»[1].

ان الصحة هي أساس الانسان منذ بدايته، والأمور الطارئة على صحته هي من صنع البشرية بالدرجة الاولى، وللفرد دخل فيها، ولهذا أشارت الآية الكريمة إلى ان الانسان خلق في أحسن تقويم، وحسن التقويم شامل للجانب الابداعي والتكويني والخلقي، وللجانب النفس والروح والخُلق والتفكير والادراك، وهو بهذا قد أُعِدَّ إعدادًا سليماً لمواجهة الحياة والعبادة بصدر رحب، وامكانات قديرة على الاداء الفعلي والعقلي. ان الشاب عندما يقبل على طاعة ربه، ويتأمل في صنوف العبادات يجدها قد حوت كلَّ ما لديه من قدرات، ويجدها قد ساعدت على نمو ما لديه منها، فاذا نظرنا الى الرعاية في هذه العبادات نجد انها قد حوت النظافة والرياضة والسباحة والصوم. فالصلاة والوضوء خمس مرات في اليوم

---

1 ـ سورة التين آية 3 .

2 ـ رواه مسلم . (3) سورة الاعراف الآية:

كفيلة بايجاد الرعاية والوقاية من كثير من الامراض ، وقد يغتسل الشاب لإزالة العرق والوسخ والجنابة ، ولصلاة الجمعة ، وللمناسبات الاخرى التي يجتمع فيها المسلمون ، ولكنه يجد نفسه في حاجة ماسة الى الاغتسال ليواجه زحمة التجمعات البشرية ـ في مدرجات العلم ، وساحة العمل ـ نظيفاً كما امره المشرع الحكيم .

كما ان الشاب يحب ان يرى غيره نظيف الجسد والثوب ، وتتقزز نفسه من رائحة سواه ومن منظر غيره عليه ان يُراعي ذلك في شخصه . ولعلنا نتذكر ما نصح به الرسولﷺ بعض المصلين الذين تناولوا الثوم والبصل نيئاً ، فقال عندما اشتم هذه الرائحة الكريهة :« من اكل ثوماً او بصلاً فلا يقربنَّ مصلانا »[1] . وهذا آخر جاء الى الصلاة وشعره أشعث أغبر فطلب منه العودة والاغتسال وتسوية الشعر ومس الطيب. وهذا امر الله سبحانه يأتي إلى المسلمين في قوله سبحانه وتعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ .... ﴾[2] والله سبحانه يدعو عباده إلى العناية ليس بالنظافة فحسب بل العناية التامة بالمظهر العام الذي تشرق له النفوس وتتفتح له القلوب في لقاء الصلاة بالمساجد . وجاءت أحاديث عديدة تكشف عن اهمية الوضوء وتحث عليه ، وترفع شأن المتمسكين به منها ما رواه ابو هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رسول اللهﷺ يقول : « ان أمتي يدعون يوم القيامة غُرًّا محجلين من آثار الوضوء ، فمن استطاع منكم ان يطيل غُرَّته فليفعل »[2]

ويتحدث الرسول الكريم عن اخوانه الذين لم يأتوا بعد في حياته ، ويذكر منزلتهم ووصفهم يوم القيامة في قوله عليه الصلاة والسلام : « فانهم يأتون غُرّاً محجلين من الوضوء ، وانا فرطهم على الحوض » ،

---

1 ـ رواه البخاري .

2 ـ رواه مسلم . (2) سورة الاعراف الآية: 31

ويقول : « الطهور شطر الإيمان »[1] . وعن ثوبان رضي الله عنه قال قال الرسولﷺ : « استقيموا ولن تحصوا ، واعلموا ان خير أعمالكم الصلاة ، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن »[2]. وعن ابن عمر أن النبيﷺ قال : « اذا استيقظ احدكم من منامه فلا يدخل يده في الإناء حتى يغسلها ثلاث مرات ، فإنه لا يدري اين باتت يده ، او أين طافت يده »[3] ، وعن عثمان قال سمعت رسول اللهﷺ يقول : « لا يتوضأ رجل فيحسن وضوءه ، ثم يصلي الصلاة ، الا غفر له ما بينه وبين الصلاة التي تليها » والنظافة مما يعلق بالانسان من صنوف النجاسة امر واجب على المسلمين ، ومن ذلك طهارة الثوب من بول الطفل ، ومن المذي ، ومن دم الحيض ، ومن غيرها من النجاسات الطارئة .

ولعلنا نذكر حكم الشرع في الطهارة من نجاسة الكلب بأنه اذا ولغ في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات احداهن بالتراب ، وقد أثبت علماء العصر الحديث ان بالكلب جرثومةً لا تموت الا بالتراب ، وقد حرم الله أكلَ الميتة والدم ولحم الخنزير ، ولولا ما بها من إيذاء لصحة الانسان ما حرمها عليه ، وقد اصبحت هذه المعلومات شائعة في عصرنا .

ويلاحظ ان التشريع الاسلامي يربط بين الحالة النفسية والصحية عند تناول الطعام، فلم يفرض على المسلمين لونًا من الطعام ولم يجبرهم عليه ، بل ترك لهم حرية اختيار ما يأكلون ، قال تعالى: (**كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**)[4] فهناك أطعمة تضر بالجسم ، وتعافها النفس فلم يقبل عليها العرب وحرَّمها الشرع كالحيوانات المفترسة ، والطيور الجارحة آكلة اللحوم ، وهناك أطعمة اخرى لا تضر بالجسم وتعافها النفس فلم يقبل عليها كثير منهم ، ومنهم الرسول الكريم مثل لحم الضب، ومن هنا

1 ـ رواه مسلم والترمذي .

2 ـ رواه ابن ماجه باسناد صحيح .

3 ـ رواه الدارقطني وقال اسناده حسن .

(4) سورة طه الآية: 81.

كانت القاعدة في قبول الطعام ورفضه يعود إلى استساغة العرب له ، أو رفضهم له : قال تعالى : (كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلاًّ لِّبَنِيٓ إِسْرَآئِيلَ إِلاَّ مَا حَرَّمَ إِسْرَآئِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَاةُ....)[1] .

والحديث يطول في عناية الاسلام بصحة الشباب ، وارشادهم بما فيه خير لهم . فالجسم السليم فيه عقل سليم يتطلب منه ان تظل الرعاية متصلة لا تنقطع ، والصحة كامنة حتى تفيد الجسم في باقي حياته : « خذ من شبابك لهرمك » ويتم ذلك بالاهتمام بالصحة ، وعدم التفريط فيها ، فيهرم الشاب ، وما زال في ربيع حياته ، ولذلك اكد الرسول الكريم ذلـك في قوله : « ان لجسدك عليك حقاً » ومن حقه ان يأخذ قسطاً من الغذاء المثمر دون اسراف ، ومن الراحة حتى يستعيد قدرته على العمل دون إرهاق أو مرض. قال تعالى : (... وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ *)[2] وقد نبه الرسول الكريم إلى موطن الداء في الجسم في قوله: «المعدة بيت الداء» ومنها يكون كل بلاء.

والشاب العاقل الحكيم هو الذي يتحكم في شهواته ، ويقبل عليها بقدر دون تفريط ولا افراط حتى يعيش سعيداً صحيح الجسم والفؤاد ، وفي مجال الوقاية من الامراض المعدية جاء امر الرسول بعزل المريض والبعد عنه ، بل عبر عن البعد بالفرار في قوله«فِرَّ من المجذوم فرارَك من الأسد» ويأتي التشبيه الدال على قسوة المرض وفتكه بالانسان كفتك الاسد بفريسته ، وكلاهما يحتاج الانسان إلى الفرار منه ، وفي طاعون عمواس امر عمر بن الخطاب المسلمين ألاَّ يخرج من أرض الطاعون احد ولا يدخل اليها احد[2] .

وهذا آخر ما توصل اليه العلم الحديث من أسباب الوقاية، ومن انتشار العدوى. والرعاية الصحية مسؤولية جماعية تعاونية غير مقصورة على قطر دون آخر، إذ أصبحت تشغل فكر كل امة ، خاصة بعد ان قربت سبلُ

---

1 ـ سورة آل عمران آية 93 .

2 ـ يراجع «عبقرية عمر» عباس محمود العقاد ـ دار المعارف ـ القاهرة .   (2) سورة الاعراف الآية: 31.

المواصلات المسافات بين اقطار العالم ، فكان لزاماً على كل بلد موبوء باحدى الامراض المعدية ان يوضع تحت المراقبة الدقيقة من قبل المسؤولين عن الصحة العالمية والقطرية .

وتعد الاسرة هي الركيزة الاولى التي تعتمد عليها صحة الافراد ، والجماعات ايضاً؛ فمنذ النشأة الاولى للطفل يتعود كثيرا من العادات والتقاليد التي تؤمّن له مستقبله الصحي . ويشب عليها ، وتصبح مسؤوليته الكبرى في الحفاظ عليها ، وترقيتها وتنميتها، وعلى الشاب الاسهام في الحفاظ على صحة الآخرين عن طريق نشر الوعي الصحي ، وعليه ان يتحلى بنفس ما يدعو غيرّه اليه ، حتى يكونُ قدوة صالحة في دعوته .

ويجب النظر الى الرعاية الصحية على انها عملية تغيير في السلوك ، وعملية تنشئة اكثر منها عملية تلقين ، ولهذا يُعَدُّ دور الام دوراً رائداً في تربية ابنائها تربية صحية على ان تكون لديها المعرفة التامة والسلوك الجيد ، والتخطيط الواعي الدقيق في التنشئة السليمة ، وهذا التخطيط يجب ان يخضع للتقويم المستمر في ضوء الاهداف المحددة لها ، فمازال العلم يطل علينا كل يوم بجديد ، ويضع لنا الاهداف التي نحتاج الى متابعة لتطبيقها على الشباب لنضمن لهم مستقبلاً باهراً في مجال الصحة والانتاج[1] وذلك باثارة الوعي الصحي والغذائي بين الشباب ، وتزويدهم بالمعارف الصحية والغذائية السليمة والضرورية للحفاظ على صحتهم ووقايتهم من الامراض ، وبمساعدة الشباب ـ أيضاً ـ على تحقيق النمو الجسمي السليم والفكر المستنير ، وبتمكينهم من بناء العادات والميول والاتجاهات الصحية السليمة التي توجه سلوكهم وممارستهم في حياتهم العملية نحو كل ما يحقق نموهم السليم . وباهتمامهم بالمسائل الصحية في مجتمعهم

---

1 ـ يراجع : الأسس النفسية والتربوية لرعاية الشباب د/ عمر الشيباني فقد عرض لهذه الفكرة بتوسع .

وشعورهم بأهمية الاصلاح الصحي في مجتمعهم ، وبهذا يكتمل نموالمؤمن القوي ، يضاف اليه إمكانات روحية صاغها الايمان بما فيه من قيم جليلة ، فأصبح الشباب عبادًا للّه« أول علامته فيهم ان الذل تحت اقدامهم ، وهم يجيئون في هذه الحياة لإثبات القدرة الانسانية على حكم طبيعة الشهوات التي هي نفسها طبيعة الذل ، فاذا اطّرح احدهم الشهوات وزهد فيها ، واستقام على ذلك في عقد نية ، وقوة ارادة ، فليس ذلك بالزاهد كما يصفه الناس ، ولكنه رجل قويٌّ اختارته القدرة ليحمل اسلحة النفس في معاركها الطاحنة ، كما يحمل البطل الاروع اسلحة الجسم في معاركه الدامية هذا يُتعلم منه فن ، وذاك يُتعلم منه فن آخر ، وكلاهما يُرْمى به على الموت لإيجاد النوع المستعَزِّ من الحياة ، فأول فضائله الشعور بالقوة ، وآخر فضائله ايجاده القوة»(1) . فاذا اضيف الى هذه القوة الروحية قوة الجهاد النفسي ، وصحة الجسم الحامل لهذه القوى المتعددة ،فإن صاحب هذه الشخصية يكون نظير عمر بن الخطاب ، ويكون نموذجاً حياً للشباب المؤمن ، وهذا ما نهدف اليه .

---

1 ـ وحي القلم جـ 2 ص 174 ـ مصطفى صادق الرافعي ـ دار المعارف ـ مصر .

رعاية الإسلام لعقلية الشباب

إن التشريع الإسلاميّ ينبني في معناه ومغزاه على مخاطبة العقل، والتعامل معه في كل جانب من جوانبه ، وهذه الحقيقة الهامة يترتب عليها سر التكليف للشاب المسلم الذي اكتمل عقله، أما ناقص العقل أو فاقده فانه لا لوم عليه فيما يقع فيه من محاذير وأخطاء نتيجة هذا الخلل . والمتتبع لآيات القرآن الكريم يلاحظ انها تخاطب اصحاب العقول الواعين للمسؤولية ، وغير الواعين ، أو غير المهتمين لخطر الامانة الملقاة على عاتقهم ، وفي كلتا المجموعتين تتحدث الآيات عما يجب عليهم ان يتّبعوه حتى يكونوا مؤمنين صالحين .

وقد طلب القرآن منهم ان ينظروا ويداوموا النظر في السمٰوات والارض وما فيهما، ومن فيهما حتى يؤمنوا بعقولهم وقلوبهم ويصدقوا انّ ما يدعوهم الله اليه حق لا مراء فيه . (قُلِ ٱنظُرُوا مَاذَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ)[1] وقد وردت كلمة النظر كثيرًا في صدد استخدام الانسان عقله ليتعرف على صنع الله (صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ)[2] وهنا لا بد من التأمل والتبصر في بديع صنع الله .

واستخدم القرآن الكريم ، ـ أيضاً ـ في عرض بدائعه على العقل كلمة (آية) مفردةً وجمعاً وكلها تهدف الى طلب تحرك العقل البشري ليفيق من غفوته على حقائق كامنة في بديع خلق الله: (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ ٱلسَّمٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ ...)[3] الآية ، (وَمِنْ

(1) سورة يوسف الآية: 101 (2) سورة النحل الاية: 86.
(3) سورة الروم الآية: 22.

ءَايَاتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَامِ)[1] إلى آخر هذه الذخيرة من علامات الايقاظ ، وآيات التنبيه والتحذير . وقد استخدم القرآن الكريم الفاظاً يريد بها العقل ، لما لها من قوة ارتباط فعلي به ، مثل كلمة الابصار للدلالة على العقل: «وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً»[2] والابصار تشاهد، ولكنها مشاهدة سطحية دون استخدام العقل فيما يراه . وأصبح العقل معزولاً عن وسيلة هامة من وسائل الإحساس ، وهي البصر الذي يرشد العقل بعظم أو ضآلة ما يراه ، ولهذا كان المبصر العاقل غير المتعقل لما لم يبصره . والغشاوة هنا لم تفقد العاصي حاسة البصر السطحي بل حاسة البصر العقلاني: (إِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ)[3] وعمى القلب تعطيل لأعظم جوهرة خلقها الله سبحانه وتعالى ، وهي اللب ، وقوله سبحانه: (فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ)[4] دلالة على إساءة توظيف العقل لما خلق له ، وفي قوله سبحانه: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)[5] الآية: إلغاء لاستخدام العقل فلا تدبر، ولا تبصر من العاصي على حقيقة الإيمان،ولذلك جاء التصور لهذا الالغاء الكامل بأنه مثل المكان المقفل، فلا تستطيع التعرف على ما فيه. ولا استغلالَهُ لوجود الحاجز المادي الذي هو من صنع البشر. أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا؟ وجاء التعبير عتابًا وتوبيخًا لهم على هذا التعطيل المؤدي إلى الانكار والكفر.

ولهذا كانت الرعاية العقلية للشاب المسلم فرضاً على كل راع منذ بداية الطفولة ، فاذا جاءت مرحلة الشباب والتكليف كان الشاب مهيّأً تهيئة سليمة لاستقبال التشريع الاسلامي الذي هو نبع الحياة الصافي ، وذخيرة الآخرة الدائمة .

اذا وجد الاهتمام من المسؤولين على اختلاف صنوفهم ، فان الشاب المسلم سيحمل الامانة كاملة بعقيدة راسخة لا تواكل فيها ولا توانى « وبالرغم من ان مرحلة الشباب تعتبر احسن فترات حياة الفرد للتربية ـ

(1) سورة الشورى الاية: 32. (2) سورة الجاثية الآية: 23.
(3) سورة الحج الآية: 47. (4) سورة البقرة الآية: 10.
(5) سورة محمد الآية: 24.

فان نظرتنا الى الرعاية العقلية لأفراد امتنا يجب ان تكون على أساس انها عملية مستمرة طيلة الحياة . تستمر من الولادة ، وربما قبل الولادة الى الوفاة . انها ترتبط بعملية الحياة وعملية التعليم، وهما عمليتان مستمرتان . ولتوضيح هذا الاجمال يكفي ان نعلم ان النمو العقلي في اي مرحلة من مراحل نمو الفرد يتأثر بما يرثه من استعدادات عقلية فطرية من أبويه المباشرين وغير المباشرين، وبالظروف والأحوال الصحية والغذائية التي تتعرض لها والدته في اثناء حمله، وبالظروف التي تتعرض لها في اثناء ولادته ، وبالظروف الصحية والغذائية والثقافية والاجتماعية التي يتعرض لها ويتفاعل معها ، ويتربى في كنفها بعد ولادته ، ثم بما يتعرض له من مؤثرات في مدرسته ، وفي المؤسسات الاجتماعية الاخرى التي يتفاعل معها ، وفي حياته العامة .

«وعلمُنا بهذه الحقائق يتطلب منا ان نمدَّ رعايتنا العقلية لعناصر ثروتنا البشرية حتى قبل ولادتهم ، ثم نستمر في رعايتهم طيلة حياتهم . ومبدأ الاستمرار هذا في الرعاية العقلية تؤيده تعاليم ديننا الاسلامي الحنيف التي تأمرنا بأن نتخير الامهات الصالحات جسماً وعقلاً وديناً وخلقاً لنطفنا ، وبأن نطلب العلم من المهد الى اللحد ، كما تؤيده الاتجاهات الحديثة في التربية التي من بينها اتجاه التربية المستمرة »[1] وأهم ما يسترعي أنظارنا ان نورث شبابنا خيرَ ما لدينا من خبرات وتجارب عشناها وعاشها آباؤنا منذ مئات السنين فالشاب حلقة اتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل ، فهو يأخذ ليعطي ، فاذا كان ما يأخذه بعقلية ناضجة متفتحة فسوف يستوعبه ويدركه ادراكاً سليماً ، وسوف يحرص على تنميته بجانب المحافظة على هذه الامجاد من الضياع بالممارسة والعمل الجاد الذي يكسب به الكثير من الخبرات وسوف يلقنه لأبنائه من بعده حتى يعمر الكون بهذه الثمار الحية الناضجة .

والعقل لا ينمو بهذه الافكار والخبرات والمبادىء التي يتلقاها من والديه

---

1 ـ الأسس النفسية ص 459 .

وبيئته ومعهده ومجتمعه فقط ، بل يحتاج إلى جسم سليم نام نموًا مطردًا يكفل للعقل غذاءه وحيويته وتفتحه ومعلوم ان العلل البدنية لها أثرها عليه ، ولعلنا نلاحظ ذلك عندما نقارن بين اثر حالتي الصحة والمرض علينا ، بل اكثر من ذلك ، فحال المرء عندما يكون مجهداً ومرهقاً لا يكون عقله في حالة تسمح له بالحكم السديد ، كذلك الانفعالات النفسية والعصبية والعاطفية تؤثر في أدائه ولذلك لا يُسمح للقاضي بالنظر في القضايا والحكم فيها وهو على حالة من هذه الحالات ، ففي حكمه هذا إضرار بمصالح المسلمين .

ويلاحظ التخطيط الاسلامي في بناء الاسرة مراعاة حسن الاختيار من جانب الزوج والزوجة ، وذلك لحرص المشرِّع على ايجاد البيت الصحيح الكفء بايجاد نسل قوي ، سليم العقل والجسم - كما سبق بيانه - فالوراثة الجيدة الطاهرة ، والبيئة الأسرية الصالحة كفيلتان بايجاد شاب ناضج العقل حسن التفكير ، والترابط وثيق بين الرعاية الصحية والاهتمام بها ، وبين النمو العقلي السليم ، وبين هذين وبين غيرهما من مقومات الشباب التي تحدثنا عنها « ان تربية العقل يجب ألاَّ تكون منفصلة عن تربية الجسم واليد وتربية الروح والضمير والوجدان والذوق ، لأن العقل السليم لا يتحقق الا في الجسم السليم ، ولا خير في تعليم نظري لا يدفع الى العمل ، ولا يُحسِّنُ من طرق الأداء ، كما انه لا خيرَ في عقل ولا في علم ليس له من الايمان هادٍ ومرشدٌ ، ومن الضمير وازعٌ ، ومن العواطف النبيلة والمشاعر الكريمة ، والذوق الجمالي الرفيع دافعٌ وموجهٌ ، والتسليم بهذا المبدإ الذي يقوم على النظرة الكلية للنمو ، ويدعو الى تحقيق النمو المتكامل للفرد يتطلب - فيما يتطلب - ان تتم الرعاية العقلية للشباب في ترابط واتساق مع الرعاية الصحية الجسمية ، والرعاية الروحية والدينية ، والرعاية الاجتماعية والسياسية ، ورعاية الذوق الجمالي ، او الرعاية الجمالية او الفنية ، ان التربية العقلية للشباب يجب ان تكون مرتبطة بحياتهم ، وعن طريق خبراتهم وممارستهم العملية .

ان ربط المعارف التي يتلقونها والعلوم التي يدرسونها بالحياة التي

يعيشونها يجعل من تلك المعارف والعلوم مادة حية تثير اهتمامهم كما يجعلهم يشعرون بقيمتها في حياتهم »[1]. وبهذا تتكون العقلية السليمة ، وينقصها بعد ذلك الأداء السليم ، وهذا لا يتم الا عن طريق معرفة كاملة وصحيحة للغة التعبير ، فهي مفتاح العقل والمرشد الاساس للتعرف عما يكنُّه العقل من معلومات يريد الإفصاح عنها ، فاذا ما اهتم الشاب اهتماماً بالغاً استطاع اولاً التعرف على حقائق بل ودقائق الامور التشريعية والاسلامية ، واستطاع ثانياً ان يترجمها ترجمة وافية عند ابلاغها للناس .

والشاب البليغ داعية كاملة التكوين ، يفيد الاسلام منه وبنوه وكثيراً ما انحرف الشاب عن طريق الجادة لعدم استيعابه اللغة ، وكثيراً ما وقع الخصام والمشاحنات بسبب بُعْدِ أصحاب اللغة عنها ، وتُعَدُّ اللغة من اهم وسائل الكشف عن مستوى التفكير والنمو العقلي. ومما هو معلوم ان العقول تتفاوت من شخص لآخر ، ولذا كان حرص الاسلام على استخدام لغة التخاطب المناسبة لمدارك العقول عند الشباب ، حتى لا تفوت الفرصة على بعضهم في الكشف عن الحقيقة المطروحة عليهم ، ولذا امرنا الرسول بذلك في قوله : « خاطبوا الناس على قدر عقولهم » ولهذا السبب أيضاً تنوعت اساليب الارشاد في القرآن الكريم بين الايجاز والاطناب ، والقصة والتعبير المباشر وغير المباشر .

ويترتب على تفاوت العقول تفاوتُ الادراك والمسؤولية والعمل وهذا ما اشار اليه الرسولﷺ في قوله : « كلٌّ مُيسَّر لما خلق له» فالشاب يختار العمل المناسب لتفكيره وادراكه حتى ينتج ، ويساعد على نشر الاسلام في محيط إمكاناته المحدودة ، اما اذا ركبه الغرور فان الشاب لن يوفِّي العمل حقَّه ، وتكون الدائرة عليه ، لهذا كان التعرف على مستوى عقل المؤمن ، ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب من اهم الصفات التشريعية في الاسلام .

---

1 ـ المصدر نفسه ص 460 .

وهذا ما دفع المشرِّعَ الى وضع شروط الصحة والعقل وحسن التصرف في كثير من صيغ العقود وسلبها من المجنون ، ومَنْ به خلل في تصرفاته العقلية كالسفيه والمخبول ، كما رُفعت الرعاية عن الاب الذي لا يحسن تربية اولاده ، ورُفضت رعاية الام اذا كانت غير قادرة عليها [1] ، وهذا ما يشير الى ان العقل له اهميته الكبرى في كل تصرفات الشاب واستقلاله الفكري ، وقد حَرَمَ المشرِّع الشاب من استقلاله بالتصرف في امواله عندما ثبت له عدم أهليته للتصرف لخلل عقله ، او لتصرفه تصرفاً غير لائق بمثله في الاحوال المالية او الرعاية للغير .

ومناط الاحكام في التشريع الاسلامي متوقف على العقل من حيث التطبيق ، ومن حيث النهوضُ بأعبائه ، وأداء رسالته .

---

1 ـ تحدثنا عن ذلك بالتفصيل في الولاية .

الإسلام وقلق الشباب

من اهم ما يدعو اليه التشريع الاسلاميُّ ان يشعر الشاب المسلم بالراحة النفسية ، والاستقرار الروحي والعقلي - خاصة في هذه الفترة الشائكة - فالاسلام قد ضمن حياة آمنة لنفسه وماله وعرضه الا بحق ، وهذا ما جعل كثيرًا من أصحاب البلاد المفتوحة في ظل الإسلام يسارعون إلى الدخول في الإسلام، وفي مساعدة المسلمين على دخول البلاد ، فالإسلام يعطي كل فرد حقَّه ، ويؤمِّن له حياته هو وأسرته وماله ، ولهذا لم يكن القلق يساورهم بعد دخول المسلمين اليهم ، والعيش معهم ، إذ راية الأمن ترفرف عليهم وتدخل السكينة في قلوبهم ، والسكينة هي خيمة الأمان وملاذ الضعفاء والخائفين .

ولهذا طمأن الله سبحانه وتعالى صحابةَ رسوله عندما شعروا بالقلق في بيعة الرضوان «الشجرة» بقوله سبحانه : (لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾)[1]، فكانت السكينة دواء ناجعًا ، ورحمة مهداة لهم من الله : (أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ)[2] وهم أولياء الله وأحباؤه .

وقد شغل القلقُ علماءَ النفسِ في عصرنا هذا وعرَّفوه بتعريفات عديدة ، وبحثوا عن اسبابه ونتائجه وعلاجه .

---

1 ـ سورة الفتح آية 18 .

(2) سورة يوسف الآية: 62.

ومنهم « فرويد » الذي يرى ان الشخص نفسه يشعر بالضعف والعجز عن التصرف السليم ، والتوافق مع الواقع الخارجي نتيجةً وقوعه تحت ضغط قوتين متصارعتين : الذات العليا ، والهي ، وهما يمثلان قوة الغرائز غير المهذبة ، وقوة الضمير، وينتج عن صراع القوتين حالات القلق التي نحن بصدد الحديث عنها. ويرى « ادلر» ان نوع التربية التي يلقاها الطفل في اسرته أيام طفولته لها أثر كبير في نشأة القلق النفسي عنده ومحاولته التعويض عنه .

ويرى هندرسون وجيلزبي ان هناك مواقف إحباطية معوقة كثيرة تؤدي الى الصراع النفسي. ومن هذه المواقف الاحباطية الفشل في الحياة الزوجية ، او العمل ، او عاهات البدن ، او الحالة الاقتصادية ، او التربية الخاطئة ، ويترتب على هذه المواقف الإحباطية سلسلة من ردود الافعال القلقة ، وعندما تتكرر هذه المواقف نجد هذه المشاعر تتراكم ثم تظهر آثارها في سلوك الفرد الخارجي ، فهي اسباب غير الأمور الجنسية ، وتشمل هذه الاسباب اموراً مادية وعائلية ونفسية .

ويرى « شافر» و«دروكسي» ان القلق المرضي استجابة مكتسبة قد تنتج عن القلق العادي تحت ظروف او مواقف معينة ، ثم تعمم الاستجابة بعد ذلك .

ويرى « كارن هورناي» انه يجب التفريق بين شيئين؛ القلق بوصفه مظهراً عصابياً ، ثم الخوف الطبيعي او السوي ، وهو شعور الإنسان بالعجز عن مواجهة بعض الاخطار القائمة مثل المرض والموت ، وقوى الطبيعة والاعداء ، وانه جاء نتيجة كبت العدوان الذي يؤدي الى الشعور بالعجز والضعف لأنه يفقده القدرة على الاحساس بالخطر الذي يجب ان يحاربه ، ويقاومه ، وهذا الامر يجعل الشخص خنوعاً عاجزاً كثير الميل الى الطاعة ، مسالماً في المواقف التي ينبغي له ان يأخذ حذره منها [1].

---

1 ـ يراجع علم النفس الاكلينيكي ـ د/ مصطفى فهمي ص 201 .213 مكتبة مصر ـ القاهرة .

وهو ايضاً : « خبرة عنيفة من الخوف والتوجس يدركها الفرد كشيء ينبعث من داخله ، ولا يمتُّ بصلة الى موقف تهديد خارجي واقعي »[1].

يلاحظ ان كل الاسباب المؤدية للقلق عند هؤلاء العلماء عالجتها التربية الاسلامية علاجاً سلبياً ـ تحدثنا عن كثير منها ـ ولهذا فالشاب القلق لا يمثل الاسلام تمثيلاً جيداً ، فهو قد فقد صلته بالله ، او كاد ، وضعفت تربيته التربيةَ الاسلامية الصحيحة ، واصبح ضعيف النخوة والمروءة والشجاعة والقوة اللازمة للتضحية في سبيل الله .

ولذا فعلاجُ القلق والقضاءُ على أسبابه النفسية والمرضية أمر حتمي ، فعلى الوالدين معاملة اولادهما معاملة طيبة مبنية على اعطاء الابناء حقَّهم في الادلاء بآرائهم ومشورتهم في امور حياتهم ، ومساعدتهم على إثبات شخصياتهم عن جدارة وثقة تامة ، وبهذا يستطيع الشاب ان يُقْبِلَ على هذه المرحلة المتطورة في امن وثبات وحرية آمنة بعيدة عن القلق والاضطرابات النفسية والعصبية .

وبهذا يظل حب الاولاد لآبائهم قائماً ، وتتحرر شخصية الشاب من الميول العدوانية نحوهما بابداء الرفض دون حرمان لعطف الوالدين . ان هذا ما نعاني منه نحن الآباء من أولادنا ، وما يعاني منه الاولاد نحو آبائهم.

إن الاسلام فرض قيام الطاعة من الابناء للآباء ، وحذر مغبَّةَ عصيانهم لهم ، فاذا كانت الطاعة ناجمة عن الحب والتربية السليمة فان هذه الطاعة ستتوقف مع اول حجر عثرة يقف في طريق الشباب ، ونكون ـ نحن الآباء ـ سبباً في عصيان الابناء لأوامر الله تعالى ، فالله يقول : (وَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا) ويقول سبحانه : (وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا *)[2] ولا يتم هذا مع

1 . انظر كتاب القلق وأمراض الجسم ـ د/ محمد أحمد غالي . د/ رجاء محمود ط 1 دمشق سنة 1974 .

(2) سورة الإسراء الآية: 23 / 24.

وجود القلق عندهم . وذلك لأن الشاب منذ طفولته تلحُّ عليه اسئلة بلورها فكره نتيجة الخوف من الاحداث الناجمة عنها ، مثل سؤاله عن معنى الموت والحياة ، ومن بيده امرهما ، وكذلك المرض والضعف كلها أسئلة تريد توضيحاً فاذا سَلَّمَ بانها بيد الله بدأ يسأل عن العالم المجهول يوم القيامة ، وما فيه من عذاب للعاصين ،ونعيم للصالحين ، فاذا أثم إثمًا كبيراً او صغيراً بدت مشاهد القيامة كماصورتها قراءاتهُ ومعلوماته عنها . انها تدعو الى الخوف من هذا المجهول ، وتطلب منه ان يقوِّم ما اعوج من سلوكه ، ويعود الى حظيرة الايمان ، انها بذلك تقربه الى الله سبحانه وتعالى ، فيلتمس منه الصفح والغفران ، والله سبحانه قد أعد النفس البشرية ملائمة تماما لما هي مقبلة عليه من الطاعات والعبادات ، فبالنفس البشرية كلُّ مفاتيح الخير التي تيسر له حياة آمنة مستقرة بعيدة عن الخوف لما اقبل عليه من طاعة الله ، والتصديق بكتابه ، والله سبحانه يعطينا نتيجة المؤمن الملتزم لطريق الحق في قوله سبحانه : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2] فالمؤمن بذلك يستقر فؤاده بفضل الله ، ويظل متعلقاً خوفه بالله وحده ، لا بالدنيا ولا بما فيها ، فالشاب المؤمن قد عرف أبعادها ، ووضع التشريعُ الاسلاميُّ لكلِّ داءٍ دواءً ، .فهو ملتزم به ، متحقق منه ، ثابت في عقيدته ، إذًا فلا مجال للخوف من المجهول لأن مرده الى الله . والشاب المؤمن راض بقضاء الله وقدره ، ولا مجال للخوف من المعلوم ، فهو قد سلك طريق الايمان في تنفيذ ما يراه خيراً فان أصاب فله أجران ، وان اخطأ فله أجر ، ومعلوم ان الاعمال بالنيات ، وان لكل امرىء ما نوى ، كما ورد في الحديث[1]. وما دام الشاب صادقَ النية فلن تخيفه نتائج ماارتكبت يداه ، ويبقى بعد هذا خوفه من الله سبحانه وتعالى ، وهو يتمثل في المراقبة الدائمة لوجه الله الكريم ، فهي تدفعه الى يقظة الضمير والله بصير بالعباد ، وهو سبحانه :

---

1 ــ رواه البخاري ومسلم .

(2) سورة يوسف الآية: 62.

(يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي ٱلصُّدُورُ)[1] فليس هناك محلٌّ للغش والخداع ، وليس هناك مجال للمراءاة ، فالصدق في القول والعمل هو رائد الشاب ، كما ان مراقبة الله في السر والعلن هوديدنه، وبذلك تصفو اعمال الشاب من الدنس والرجس والفساد ، ولهذا كان جزاء من يخاف الله سبحانه وتعالى في دنياه ان يؤمنه في اخراه ، كما جاء في القرآن الكريم تصديقًا وتأسيسًا لهذه العلاقة في قوله: (إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ)[2] والخوف من الله مصدر سعادة الفرد في الدارين فكما وضحت ان الخوف منه قرين بنهي النفس عن الضلال والزيغ ، فلا يمكن للقلب المدنس بأهواء الشيطان ان يشمله الخوف من المقام الاعلى لرب العزة ، قال تعالى: (وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ *)[1]. وقال جل شأنه: (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ *)[2]. .

فالخوف من الله هو مناط الخير والفلاح ، وهو مصدر السعادة في حياة المرء ، وهو المظلة الواقية من عيث الشيطان ، ومن الزيغ والفساد ، وهو سياج إلهيٌّ يرد كل خوف من مخاوف الدنيا التي تذهب بشبابنا كل مذهب ، وهو نور الصراط المستقيم ، صراط الذين انعم الله عليهم ، وهذا يذكرنا بقول الصديق ابي بكر ـ رضي الله عنه ـ لو كانت احدى قدميَّ في الجنة والاخرى خارجها ما أمنت مكرَ الله ، انه لا يأمن مكرَ الله الا القوم الخاسرون .

فالشاب حريص وخائف من الوقوع في خطإٍ يغضب الله سبحانه وهو من يحبه ، كما انه حريص على ان ينال ثوابه ، ويبعد عن عقابه . والخوف من العقاب مرتبة أدنى من الخوف من مقام الله سبحانه، فالشاب المؤمن يستحضر مقام رب العزة في كل وقت يمر به ، وفي كل عمل

---

1 ـ سورة النازعات الآيتان 40 ـ 41 . (1) سورة غافر الآية: 19.
2 ـ سورة الرحمن آية 46 . (2) سورة الحشر الآية: 16.

يـؤديـه ، وفي كـل عـبادة يُقدِم عليها ، وهو يتذكر قولَ الرسول الكريم ﷺ : «اعبـد الله كـأنك تـراه ، فـان لم تكن تـراه فـانـه يـراك» وهـنا مقام الخشية اعظم عندما يتجلى هذا المشهد في قلب الشاب ، والله سبحانه لا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء .

ويلازم الخوف الرجاء ، فالانسان خطّاء بطبعه ، ومن هنا كان الخوف من الله والرجاء في الصفح منه سبحانه هما ملاذ المؤمن في الاقبال على الله سبحانه .

« والخوف والرجاء اكبر خطين متقابلين في النفس البشرية ، وهما اللذان ينظمان هذا الالتزام ازاء القوة الخالقة ، ويجعلانه دستوراً مفصلاً من المشاعر والسلوك والاعمـال والافكار والـطقوس والشعـائر ، ومـع هذا الالتزام تنشأ « القيم » المختلفة او تتبلور . والقيم معناها ان هناك حواجز تحجز الطاقة الحيوية لتضبط منطلقاتها ، وترفعها الى أفق اعلى . ومن ثم يرتبط الدين بـرغبة الالتـزام الفطريـة في النفس البشريـة ، ثم بالقيم والضوابط ارتباطاً متسلسلاً طبيعياً فطرياً لا ضغط فيه من الخارج ولا اكـراه ، وانما الـديانـات السماويـة تنظم هـذا كله وتوجهـه الـوجهـة الصحيحة ، تنظم التوجه المبهم الى القدرة الخالقة ، فتجعله توجهاً واعياً صريحاً خالصاً الى الله . وتنظم الالتزام فتجعله التزاماً بعبادات وشعائر محددة يعلم الله حكمتها فيفرضها على الناس . وتنظم القيم فتجعلها قيماً عليا راشدة بريئة من الميل والهوى ، والنقص والانحراف »[1] إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وقد التزم الانسان بأداء الامانة لما به من ركائز تساعده على ادائها ، وهي ليست وليدة عصر من العصور بل هي منذ بدء الخليقة قال تعالى: (وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا.[2] الآية) وقال سبحانه

---

1 ـ دراسات في النفس الإنسانية ـ محمد قطب .

(2) سورة الاعراف الآية: 172.

وتعالى: (وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ ٱلْفَاسِقُونَ *)[1] وقال سبحانه وتعالى: (وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا ٱللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا *)[2].

ان الخوف يدفع بالشاب الى زيادة الحرص على النجاح والرغبة في الوصول الى مكانة اجتماعية افضل، وقرب من الله أكثر.

---

(1) سورة النور الاية: 55.

(2) سورة النساء الآية: 9.

الإسلام والنهضة العلمية للشباب

قال تعالى: (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ *)[1].

العلم هو السند الاول لادراك العقل ما في الوجود من حقائق تقربه الى الله، وتفيده في حياته، وحياة الانسانية، ولذا تكرر لفظ «علم» في القرآن الكريم نحو 765 مرة، وحث القرآن على العلم والنظر المتأني في ملكوت الله حتى يزداد الانسان علماً ونوراً، وطلب الله سبحانه من الشباب الذين تفتَّحت اعينهم على هذا العالَم الكبير المجهول ان يسيروا في الأرض، ويهاجروا في انحائها قال تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ...)[2] والحقائق العلمية في القرآن الكريم تعطينا مفاتيح الحياة حتى نستطيع الكشف عن أسرارها، والعلم في القرآن الكريم أوسع من مدركاتنا، فهو يشملها وزيادة قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا...)[3] والعلم يشمل منطق الطير وغيره في قوله سبحانه: (... عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ...)[4] والاتيان من كل شيء لا حدود له مقننة في علوم الارض، بل إن ما بين ايدينا من العلوم قليل جداً، ومع هذا قصرت عقولنا عنها، وقصرنا نحن عن معرفتها قال الله تعالى: (...وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا *)[5] ومع هذا لا يصح لنا ان نترك شبابنا دون الاغتراف منه، ودون ان نهيء له فرص التعليم السليمة، ودون ان نضع كل خبراتنا في تربية جيل الشباب الذي نعتمد عليه في تحمل التبعة في تسيير دفة الحياة، وعلى المتخصصين في التربية والتعليم ان

---

(1) سورة العلق الآية: 5.
(2) سورة العنكبوي الآية: 20.
(3) سورة النحل الآية: 15.
(4) سورة النحل الآية: 16.
(5) سورة الإسراء الآية: 85.

ييسروا للشاب التعرف على نهضة الامة الاسلامية في عصورها الذهبية ، وان يجسّموا لهم هذا المجد العريق الذي تكاتف في تأسيسه جماعة من العلماء العباقرة ، ومـا زالت ذكرى هؤلاء العلماء وكتبهم ونـظريـاتهم العلمية ومخترعاتُهم المتعددةُ المجالات تزخر بها مكتبات العالم ، وتشهد بها الاكاديميات العلمية والجامعات المتخصصة ، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر [1] :

في مجال الكيمياء : عز الدين الجلدكي وابو القاسم المحريطي.

وفي مجال الطب : الرازي وابن سينا، وابن رشد ·

وفي علم النفس : ابو حامد محمد الغزالي.

وفي الطبيعة : ابن الهيثم ، وكمال الدين الفارسي .

وفي الزراعة والنبات : البغدادي ، وابن البيطار .

وفي الرياضة والفلك: الخوارزمي ، وثابت بن قرة وجمشيد غياث الدين الكاشي.

وفي التاريخ والجغرافيا: الشريف الادريسي، وابو الريحان البيروني وابو عبد الله القزويني.

وفي الرحلات والاستكشاف: ابن بطوطة.

وفي ابحاث المادة والذرة وفن الحرب والقتال والفلسفة وما وراء الطبيعة كان لهم فيها قصبُ السبق على سواهم في تأكيد نظريات علمية عديدة.

وهذا بعض ما قيل عن الذرة عند علماء المسلمين منذ مئات السنين، قال ابو الهذيل في القرن السابع الميلادي: « الجسم يتكون من جـزءين لا يتجزآن . وهذه الاجزاء توصف بالحركة وبالاكوان».

فهل هذان الجزءان هما الالكترون والبروتون. . . وهما ما يتركب منهما

1 ـ يراجع المسلمون والعلم الحديث ص 130 ـ 140 عبد الرزاق نوفل ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت . لمحات عن علمائنا المسلمين .

الذرة . . كما يقول العلم الحديث، فانهما يوصفان بالحركة كذلك ونرى ان في جميع ما كتبه علماء الاسلام في هذا العلم يتردد لفظ الجوهر الفرد، وهو ما يقابل في العصر الحديث اسم الذرة . فالشهرستاني يقول : ان تناهي الجسم المفضل يحتم ان يكون مشتملاً على عدد متناه من الاجزاء التي لا تتجزأ ، ويفصح الرازي في تركيب الجوهر الفرد ، فيقول بتكونه من الاجزاء التي لا تتجزأ او من الخلاء . وهذا تعبير علمي حديث لتركيب الذرة .

ثم يتجه علماء الاسلام الى الوصول الى حقيقة الذرة قبل ان يصل إليها العلم الحديث بقرون فيقول الفيلسوف المسلم فريد بن العطار منذ ثمانمئة عام ونيِّفٍ: «إذا شققت الذرة وجدت في قلبها شمسًا». ويقول: «ان ذرات المواد كلها في حركة دائمة وهياج مستمر» ويقول هاتف الاصفهاني في أبيات شعرية له: «كل قلب لذرة تشقه تجد فيه شمسًا».

وهذه هي ادق الاجزاء الحديثة في علم الذرة ، فترى لو وجد المسلمون الآلات المناسبة، وولوا وجوههم الى التصنيع ودرسوا ما بدؤوه من ثمانية قرون. ألم يكونوا قد وصلوا الى تحطيم الذرة والسيطرة عليها، قبل ان يصل غيرهم الى ذلك بنفس المدة التي وصلوا فيها الى حقيقتها العلمية قبل غيرهم »[1]

وشباب اليوم ليسوا بأقل ما كان عليه الأجداد ، وفي العصر الحديث كثير من الشباب المسلمين رفعوا راية العلم ، وتفوقوا على سواهم من علماء الغرب بل العالم كله في مجال تخصصهم،ولعلنا نتذكر الدكتور علي مصطفى مشرفة الذي وضع في النظرية النسبية الخاصة ، وفي الذرة ، والقنابل الذرية ، وله اثنا عشر كتاباً آخر ، ووضع رسالة علمية اثبت بها خطأً وقع فيه اينشتين ،وصحح له خطأه مما دفع اينشتين إلى ان يختاره من

1 ـ المصدر السابق ص 140 ـ 141 .

بين علماء العالَم ليساعده ويزامله في ابحاثه في المادة والذرة. والدكتور مشرفة من العلماء المتصوفين المتمسكين بالدين الحنيف ويربط في فكره وعلمه بين القوى الروحية والعلمية ، ولن تكون للثانية فضل كبير إلا بوجود الاولى ، اذ يقول : « يقوم المجد البشري على شيء آخر هو ذلك القبس المقدس الذي نشعر جميعاً بانه يميز الانسان على سائر الحيوان ، تلك هي القوة الروحية التي تحرك فينا حبَّ الحق، وحبَّ الخير وحبَّ الجمال ، وعلى قدر استجابة البشر لذلك الداعي تأتي عظمتهم ، ورفعة شأنهم »[1]

والحديث عن العلم والعلماء واسع مثل سعة العلم ، وشباب المسلمين اليوم متطلعون الى كل جديد من الاختراعات المتعددة التي يقفون منها متأملين متطلعين الى مكانتهم منها ، فيستصغرون شأنهم ، ويشعرون بقلة قدرهم ، وعظمة غيرهم ، فيضمحل الامل فيهم ، وينزوي الرجاء . لقد ظلوا مشدودين الى عجلة الغرب سنين طويلة ، وقد أفسدت الدعايات ووسائل الاعلام الاستعمارية حماس الشباب ، حتى إن بعض شبابنا تنحصر امنيته في مشاهدة البلاد المتقدمة ، والعيش فيها ، مؤثراً رغد العيش على البحث وراء سر هذا الرغد . ان الإسلام يدعو الشباب الى العمل الدؤوب للحصول على انتاج أوفر وأفضل قال تعالى: (وَقُلِ ٱعْمَلُوا فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ..)[2].وقال سبحانه في رفع شأن العمل والانتاج إذ مهما قل مقداره فله مكانه عند الله : (فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *)[3] وطلب الرسول من المؤمنين ان يتعلموا من المهد إلى اللحد . هي دعوة الاستمرار من اجل بقاء الكون الذي جعلنا الله مستخلَفين فيه ، والاستخلاف الخيّر لا يكون الا بالعلم النافع .

والشاب المسلم يدرك موقفه اليوم حيث تكاثفت عليه قوى الشر والعدوان من كل جانب .

---

1 ـ المصدر نفسه ص 143 .

(2) سورة التوبة الآية: 105.

(3) سورة الزلزلة الآية: 7.

ان عدو الاسلام يستخدم جميع اساليب العصر الحديث العلمية في محاربة الاسلام والمسلمين ، ولا يمكن لنا ان نواجههم الا بنفس سلاحهم وعتادهم المتفوق مصداقًا لقول الله سبحانه: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَّا ٱسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ...﴾ فالقوة كامنة اليوم في التفوق العلمي . وعلى سبيل المثال لا الحصر أقدِّم موقفاً ضاعت فيه مئات الآلاف من خيرة شبابنا في ساحات القتال دون جدوى تذكر . كان ذلك بسبب تخلفنا علمياً في الحصول على المعدات الحربية الحديثة من العالم الخارجي ، وقد أصبحنا موثقين بحبال هذا العالَم لكمون حاجتنا اليه ، والى معدات اخرى مكملة لسابقتها ، والى خبرات غيرنا من غير المسلمين لنتعرف على ما جلبناه منه من اسلحة وعتاد . وأصبح العالَمُ الخارجي متحكماً في مصائرنا وفي سيادتنا ، بل وفي حياتنا ايضاً بفضل تقدمه العلمي ، وقد ضاعت كثير من فرص النصر والتفوق الحربي على اسرائيل ، وليس بخافٍ على شبابنا ما يقوم به تجار السلاح في العالم ، واحتكاراتهم له وتحريكهم للسياسة العالمية من خلال هذه التجارة الممزقة للعالم والقاطعة للعلاقات الانسانية بين الشعوب والمتتبع لقضايا العالَمِ المعاصر يلاحظ انها متشابكة ، وأنها دائمة التحرك من منطقة الى منطقة اخرى ، تفعل بها اعاصير الحروب والفتن الشيء الكثير ، وهي لا تهدأ أبداً وكلها خاضعة لأساليب التقنية الحديثة المدمرة .

واذا استطاع الشباب المسلمون تكوين قوة علمية مواجهة للأعداء ، فسوف يوفرون علينا التبعية العلمية والاقتصادية والسياسية والحربية ايضاً .

كما ان الشباب سيكونون أداة فعالة في حصر المدّ العدواني على المسلمين ، وهذا ما تثبته أساليب السياسة الحديثة ، إذ القويُّ يُخْشى بأسه ، ويهاب جانبه ، ويحفظ لنفسه استقلاله التام ، وهذا ما يدعونا اليه الاسلام .

---

(1) سورة الأنفال الآية: 60.

والحديث عن بداية نزول الوحي على محمد ﷺ وترديده لقوله تعالى : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ *﴾[1] ليس بخافٍ على آحد من شبابنا ، وقد تم هذا اللقاء بين السماء والأرض بعد أن أضنى محمد فكره وجسمه في البحث عن الحقيقة الكبرى بالنظر في ملكوت الله والتأمل في خلق السموات والارض ، وفي كل شيء من حوله في عالم الواقع الملموس والمحسوس ، لا ما في ايدي الرهبان من كتب دينية « فلم يكن يطمع في ان يجد في قصص الاحبار وفي كتب الرهبان الحقّ الذي ينشده بل في هذا الكون المحيط به في السماء ونجومها ، وقمرها وشمسها ، وفي الصحراء ساعات لهيبها المحرق تحت ضوء الشمس الباهرة اللألاء ، وساعات صفوها البديع ، اذ تكسوها أشعة القمر ، أو اضواء النجوم بلباسها الرطب الندي ، وفي البحر وموجه وفي كل ما وراء ذلك مما يتصل بالوجود ، وتشمله وحدة الوجود ، في هذا الكون كان يلتمس الحقيقة العليا ، وكان ـ ابتغاء ادراكها ـ يسمو بنفسه ساعات خلوته ليتصل بهذا الكون ، وليخترق الحجب الى مكنون سره ، ولم يكن في حاجة إلى كثير من التأمل ليرى أنَّ ما يباشر قومه من شؤون الحياة ، وما يتقربون به إلى آلهتهم ليس حقًّا.

فما هذه الأصنام التي لا تضر ولا تنفع ، ولا تخلق ولا ترزق ، ولا تدفع عن أحد غائلة شر يصيبه ، وهبل واللات والعزى ، وكل هذه الأنصاب والاصنام القائمة في جوف الكعبة ، أو حولها لم تخلق يوماً ذبابة ، ولا جاءت مكة بخير .

كان محمد يفكر في اثناء انقطاعه وتعبّده بغارحراء ،وكان يريد ان يرى الحق فيها وفي الحياة جميعاً ، وكان تفكيره يملأ نفسه وفؤاده وضميره ، وكل ما في وجوده ، ويشغله لذلك عن هذه الحياة وصبحها ومسائها .

فاذا انقضى شهر رمضان عاد الى خديجة ، وبه من أثر التفكير ما

(1) سورة العلق الآية: 2.

يجعلها تساؤله تريد أن تطمئن الى انه بخير وعافية »[1] وهكذا تكون المجاهدة النفسية في البحث عن الحقيقة، فإن العالِمَ قريبٌ من الله بعيدٌ عن الشيطان، فالعلم والايمان بينهما تجانس وتقارب كبيران، فالأول يؤكد الثاني ويقويه في النفس، ويرفع الله سبحانه منزلته، قال تعالى: (إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا ...)[2] ولا تأتي الخشية من فراغ، بل من قرب العبد من ربه و إدراكه لعظمته سبحانه وتعالى.

ويروي عن وهب بن منبه قال: «إني وجدت فيما انزل الله على انبيائه ان الشيطان لم يكابد شيئاً اشد عليه من مؤمن عاقل وانه يكابد مئة جاهل فيستدرجهم حتى يركب رقابهم، فينقادون له حيث شاء، ويكابد المؤمن العاقل فيتصعَّب عليه حتى لا ينال منه شيئاً من حاجته.

وقال وهب: لَإزالةُ الجبل صخرةً صخرةً، وحجراً حجراً أيسر على الشيطان من العاقل، وأصعب من الحديد، وانه يزاوله بكل حيلة، ويستأسره ويتمكن من قياده حتى يسلمه الى الفضائح وان الرجلين ليستويان في أعمال البر ويكون بينهما كما بين المشرق والمغرب او أبعد اذا كان احدُهما اعقلَ من الآخر»[2] وهو جوهرة تتفجر بالعلم، وتفيض بالخير كلما ازددنا علماً، والعلم الكاشف عن مفهوم كتاب الله يُعَدُّ من اهم العلوم المطلوبة للحفاظ على التشريع الاسلامي، ولذلك عُنِيَ كثير من العلماء المفسرين لكتاب الله بنشر ما به من معان دقيقة دالة على ما في القرآن من اعجاز « فإذا ارتفع الكلام الى ان يصير في تقليبه ومداورته كان طرق ما بين الحواس في أنواع ادراكها وبين النفس ـ فلا يخطىء التأثير، ولا ينافي جهة من جهاته، ولا يعدو ان يبلغ من الفؤاد مبلغه الذي قسم له، فهذا هو الكلام الذي يبين البليغ ويفرده من قومه،

---

1 ـ حياة محمد ـ محمد حسين هيكل ص 131 ـ ط 9 سنة 1965 مكتبة النهضة المصرية.

2 ـ الاذكياء ـ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي ص 9 (2) سورة فاطر الآية: 28.

ويجعله مهوى قلوبهم ، وسمت ابصارهم ، اذ يكون في نفسه من هذه القوة البيانية ما يجعله خليقاً ان يعتدّه التاريخ احدَ المجاميع النفيسة في الأرض ، وهم الذين لا يكثرون بعددهم ، ولكن بمواهبهم ، حتى إن أحدهم ليكون أُمَّةً في نفسه ، ويكون عمله تاريخ عصر من أمة ، وهم اولئك الافراد العظماء الذين تبتدىء درجاتهم مما بين الخلق بعضهم من بعض ، الى ما بين الخلق والخالق من الشعراء الى «الأنبياء» [1] ونحن لا ندعو الشباب الى أن يصلوا إلى هذه المرتبة من البيان حتى لا نطلب ما يصعب على شبابنا ، فينصرفوا عن اللغة وتعليمها ، ويكفي ان نترك هذه المنزلة العليا للموهوبين من ابنائنا ، وان كانوا قلة فهم قادرون على كشف إعجاز القرآن الكريم ، وعلى كشف ما به من أحكام قد تكون بها اضافات جديدة . فكل إنسان مُيسَّرٌ لما خلق له . كما ان مجالات العلم لا تقف عند حد « اثنان لا ينهمان طالب علم ، وطالب مال» فطالب العلم دائم البحث والتنقيب ، وفي كل لحظة تمر على الشاب العالِم يزداد تواضعاً ، واقراراً بأنه محدود المكانة ، ضئيل الحجم امام عظمة العلم الالهي قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَنْ يَشَآءُ وَمَنْ يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُولُوا ٱلْأَلْبَابِ ﴾ [2] صدق الله العظيم .

---

1 ـ اعجاز القرآن والبلاغة ـ مصطفى صادق الرافعي ط 9 سنة 1973 بيروت .

(2) سورة البقرة الآية: 269.

موقف الشباب المسلم من الصراعات الفكرية

ان المجتمع البشري في العصر الحديث يدين بديانات عديدة ومذاهب مختلفة ، وكل قطر يميل باتجاهه الى إحياء عقيدة معينة ، يبذل في سبيل ذلك الكثير من الجهد . واتجاهات البلاد اليوم ـ على كثرتها ـ يجرفها تيار المادة ، فتعيش فيه مكبلة بالملذات الدنيوية ، وهذا ما جعل الوازعَ الدينيَّ يَخْفُتُ ويقل عند كثير من الدول ، وأصبحت الحياة تقاس بالمنفعة المادية ، ويوزَن البشر بميزان المال ، « ان السلوك البشري يرجع الى مصدرين اساسيين هما ذات الشخص نفسه والبيئة أو الثقافة المحيطة به ، ويدخل تحت المصدر الاول ما يحمله الانسان من دوافع داخلية شعورية ولا شعورية ، وحاجات واتجاهات نفسية ، وعادات سلوكية متأصلة في النفوس ، ومعتقدات دينية وفكرية ، وقيم وضمائر خلقية ، وذكريات ماضية ، وآمال مقبلة ، وقابليات نفسية للتقليد والاستهواء والمشاركة الوجدانية ، وتفاعلات فسيولوجية داخلية ، وغير ذلك ، ويدخل تحت المصدر الثاني كل ما في البيئة والثقافة والحياة المحيطة بالشخص ، ولها تأثير في سلوكه من تقاليد اجتماعية ، وتوقعات اجتماعية ، وأدوار منتظرة من الشخص بحكم سنه أو جنسه او وظيفته او تحصيله العلمي ، وقيم ومعايير وضغوط ورقابة اجتماعية ، ومحرمات من قبل الدين او القانون ، ومسؤوليات وواجبات منتظرة منه ، وما الى ذلك من العوامل الثقافية التي لها تأثير في سلوك الانسان الانفعالي وغيره »[1] وما نشاهده اليوم من

---

1 ـ الأسس النفسية والتربوية رعاية الشباب ـ د/ عمر الشيباني ص 537 ـ 538 .

البيئات والثقافات المختلفة كلها داعية الى هذا الاتجاه المادي ، وتناسي الجانب الروحي . وهذا ما يجعل الصراع يحتدم بين شبابنا المزودين بطاقة روحية عالية وغيرهم من الشباب المزودين بطاقة مادية هابطة ، وعند تلاقي هاتين القوتين في ميدان الحياة يُلاحَظُ وجود الاصطدام بينهما ، ولهذا فالفكر الاسلامي يُعَدُّ ركيزةً كبرى في تكوين ملكات وقدرات مختلفة عند الشاب المسلم ، وهو لا يحس بأهميتها الكبرى إلا في ميدان المواجهة بين الشاب المسلم وغيره في ميادين الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية ايضاً . فكلاهما له نظرة مغايرة يرى بها الاشياء ، وشتان بين الاثنين .

إنهدف التنمية الروحية هو بلورة الشاب المسلم وإعداده للعمل المنظم من اجل الحياة الكريمة الشريفة ، ولا يمكن الحصول على مبادىء قويمة في مجتمعنا الا من خلال الشاب المسلم الذي يعرف دينه ويتمسك بعقيدته ، ويتفانى في طاعة ربه ، إن مجموع هذه السمات الكريمة عند الشاب تجعله يسهم في خلق مجتمع نظيف بعيد عن الغش والخداع ، بعيد عن النفاق والجريمة ، وعن الزيف والرياء ، ويساعد على توطيد مجتمع يرضى عنه عندما يجد فيه المثل الاعلى لما في نفسه الطيبة الطموح الخالصة في ادائها الفعلي ، وعملها الدنيوي لوجه الله الكريم .

فإذا ما طُلب الشباب للقتال كانوا القوةَ الضاربةَ التي تنتزع النصر بايمانها بالله ، وبتكوينها السليم ، واعدادها القويم للقتال . ان الشباب ينتزعون النصر بما في قلوبهم من حلاوة الاستشهاد ، وما أُعدَّ لهم عند الله ، وبما في قلوبهم من حب النصر لإعلاء كلمة الله في الارض .

إن الشاب لا يدخل ميدان القتال رغبة وحباً لسفك الدماء أو التفاخر بالغلبة والقوة ، لأن هذا يتنافى مع مبدإ الاسلام ، فالاسلام هو السلام والدوام للخير والصلاح ، لا تدميرَ فيه ولا فناء ، بل فيه عزة وأمن ورخاء ومحبة ، وعلى هذا فالشاب المسلم حين تفتقده الامة العربية تفتقد

كيانها واستقلالها بل ومستقبلها وكرامتها ودينها .

ان الشاب المسلمَ المهيَّأ التهيئة السليمة يفتح آفاقاً رغدة ، وطريقاً كريمة نحو اعادة مجتمعنا الاسلامي ، فهو حرٌّ في تفكيره النابع من الشريعة السمحة ، لا تسلطَ عليه من الشرق أو الغرب وهو يناقش كلَّ الافكار ، ويلائم بينها وبين عقيدته وفكره وخلقه ، فما توافقت معه فهي له ، وما تخالفت مع مبادئه الدينية تركها بل وحاربها بابراز ما بها من مضار تلحق بالكيان الاخلاقي او الاجتماعي ، والشاب المسلم له في كتاب الله وسنة رسوله كلُّ الركائز السليمة التي يعتمد عليها لبناء مجتمع قويم يهنأ بها أهله ، ويستقر بنوه على أرض الواقع ، وهذا ما رفع رايةَ الاسلام خفاقةً في بداية عهد العرب بالاسلام .

إننا في حاجة الى ثورة اسلامية على الحياة المادية الهابطة ، بل « تريد الانسانية امتداداً غير امتدادها التجاري في الارض ، وتحتاج الى معنى يقود انسانها غير الحيوان الذي فيه ، واذا قاد الغراب قوماً فانما هو - كما قال شاعرنا -: يمرُّ بهم على جيف الكلاب.

والإنسانية اليوم في مثل ليل حُوشيٍّ مظلم اختلط بعضه في بعض ، وليست معاني الاسلام الا الاشراق الالهي على هذه الكثافة المادية المتراكمة ، واذا رفع المصباح لم تجد الظلام الا وراء الحدود التي تنتهي إليها أشعته .

وقد علمنا من طبيعة النفس ان انسانية الفرد لا تَعظُمُ وتسمو وتتخيل وتفرح فرحَها الصادق ، وتحزن حزنَها السامي الا ان تعيش في محبوب ، فإنسانية العالَمِ لا تكون مثل ذلك الا اذا عاشت في نبيِّها الطبيعي ، نبي اخلاقها الصحيحة وآدابها العالية ، ونظامها الدقيق ، واين تجد هذا المحبوب الاعظم الا في محمد ودين محمد »[1]. قال الله تعالى : « أَمْ

1 ـ وحي القلم جـ 2 . مصطفى صادق الرافعي ـ دار المعارف ـ مصر .

حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا ٱلسَّيِّئَاتِ أَنْ نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّالِحَاتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(1).

ان الشاب المسلم الذي اتبع طريق رسوله ، وسار على نهجه وترسَّمَ أسلوبَه في التفكير ، وفي معالجته لأمور الدنيا لا بد أن يخرج من كل هذه الجوانب بنظر ثاقب في الاشياء ، فيتعرف على حقائق ما في الكون ، ويصل الى العلم السليم ، ويعرف الوسيلة من الغاية ، ويدفع به ذلك الى حصاد الآخرة .

يقول ابن القيم الجوزية عن الناظر في الاشياء : « ان نظره يبعثه على العبور من صورها الى حقائقها والمراد بها ، وما اقتضى وجودها من الحكمة البالغة ، والعلم التام ، فيفيده هذا النظر تمييزَ مراتبها ، ومعرفةَ نافعها من ضارها ، وصحيحها من سقيمها ، وباقيها من فانيها ، وقشرها من لبها ، ويميز بين الوسيلة والغاية ، وبين وسيلة الشيء ووسيلة ضدِّه ، فيعرف حينئذ أن الدنيا قشر ، والآخرة لبٌّ ، وان الدنيا محل الزرع ، والآخرة وقت الحصاد ، وأن الدنيا معبر وممر ، والآخرة دار مستقر »[2] فإذا اعتنق الشاب هذه المبادىء ، وسار في هذه الطريق فسيلحظ ان البشر جميعاً في كل عصر قد دعوا اليها ، وان دعوتهم كانت واحدة على لسان رسلهم ، وبهذا يتأكد للشاب ان ما سار فيه من تيار فكريٌّ هو الاصوب والاسلم ، فدينه دين الفطرة : (فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا...)[3] وآخرته هي الباقية وهي التي يُعِدُّ نفسه للعيش فيها بما يقدمه من سلوك خيِّر ، وعقيدة راسخة ، ونظر ثاقب سليم ، قال تعالى (يَٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾)[4] .
وعندما يتمثل ما في هذه الحياة الفانية من ازدهار وسرعة فناء فإنه لا يفكر

---

1 ـ سورة الجاثية آية 21 .

2 ـ مدارج السالكين جـ 3 تحقيق محمد حامد الفقي ـ نشر السنّة المحمدية ـ القاهرة .

3 ـ سورة فاطر آية 5 .

(4) سورة الروم الآية: 30.

فيها طويلاً بل يسارع الى الخيرات الباقيات ، ويضع نصب عينيه هذا التشبيه الرائعَ من قول الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُمْ مَّثَلَ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَاحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا﴾[1] وقوله تعالى في تشبيه مماثل: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَامُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2].

والقرآن الكريم يضع امامنا الآيات الدامغة على ان لهو الدنيا وشغلنا بها ، والتفكير الدائم فيها دون سواها يحرمنا خير الآخرة ويجعلنا هذا التفكير متعلقين دائماً بما فيها من لعب ولهو وزينة وتفاخر بالاهل والعشيرة والمال والجاه ، وكلُّها معاولُ هدم للشباب اذا تعلق بها ، وطال تفكيره فيها ، فانها تمثل ستاراً كثيفاً تبعده عما أُعِدَّ له من نعيم في الآخرة ، ولذا كان النظر الثاقب في آيات الله ينير له طريقَ السعادة الابدية ، وقد صور الله سبحانه لنا الدنيا بما فيها في قوله: ﴿ٱعْلَمُوٓا أَنَّمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا ٱلْحَيَاةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَاعُ ٱلْغُرُورِ﴾[3]

---

1 ـ سورة الكهف آية 45 .

2 ـ سورة يونس آية 24 .

3 ـ سورة الحديد آية 20 .

القسم الثاني

عواطف الشباب

تمهيد

لقد مدح ربُّ العزة رسوله الكريم محمدًا ﷺ في كثير من آياته ـ سبحانه منها قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1]، وقوله سبحانه: ﴿... وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ...﴾[2].

ومدح المؤمنين في قوله سبحانه: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾[3]، ووضح حال المؤمنين عند سماعهم للقرآن الكريم في قوله: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ...﴾[4] الآية.

إن تتبع آيات الله ـ سبحانه ـ السابقة وغيرها التي افصحت عن شعور المؤمنين يقفنُا على أنهم يمتازون بعواطف نبيلة، فهم يتأثرون بالخير، ويقبلون على فعله، ويتجهون بعواطفهم الى الرقة والسماحة والعفو والرحمة والرأفة، وهي أسس المعاملة الانسانية، ورمز المحافظة على تيارات المحبة والوئام والأخوة الإنسانية.

---

1 ـ سورة التوبة آية 128 .

2 ـ سورة آل عمران من الآية 159 .

3 ـ سورة الفتح من الآية 29 .

4 ـ سورة الزمر من الآية 23 .

ولهذا حث الاسلام على غرس المثل العليا في ابنائه ، واوصاهم بالتمسك بها حتى يكونوا المثل الاعلى في سلوكهم السليم ، فيبدون عواطفهم بلا تطرف ، ولا انحراف ، ولا حَيَدَ ، ولا حقد ، ولا كراهية في قلوبهم ، فلا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ، ولذا فركيزة الحياة الانسانية لديه هي الحب والألفة والايثار ، وبهذه الصفات عُرِف المسلم ، وهو حريٌّ بأن يتمسك بها ، ويعيش عليها . وكان اكبر ادعاء ادعاه غير المسلمين ليتقربوا الى الله في نظر الرسول الاعظم ، وليشعروه بعلو منزلتهم عنده سبحانه انهم قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ ولولا شعورهم بما في الحب من منزلة سامية عند الله سبحانه ما ادعوه لأنفسهم .

ولذا سنحاول ان نبسط هذا الموضوع بشيء من التفصيل ، مع الاهتمام بما يفيد الشباب التعرف عليه ، والسير على نهجه السليم .

---

(1) سورة المائدة الآية: 18.

المثل العليا للشباب في الإسلام

إن الاسلام شريعة سمحة صالحة لكل زمان ومكان، والعقيدة عقيدة انسانية صادقة مع كل نفس صافية ، وما دامت العقيدة لا تخرج عن نطاق فطرتنا وتكويننا فما من سبيل يصرفنا عنها الا الضلال ، اما صاحب العقل النير والفطرة السليمة فهو يسير في طريقه مصدقاً لكلمات الله وسنة رسولهﷺ[1] والترابط المتين بين الشريعة الاسلامية والنفس البشرية جعل الشريعة الاسلامية هي مرشدنا الى مبادىء المجتمع الاساسية السليمة ، وقد سارت عليها الامم الاسلامية من قبل ، وحققت حضارات وانتصارات وتطورًا عامًا في جميع مجالات الحياة ، قلما تجد مثيلاً لها فيما سبق ، ومن اهمها : الشعور بالمسؤولية ، والتعاون التام ، والعدالة الكاملة والتزامها ، والمساواة بين جميع افراد المجتمع في الحقوق والواجبات ، والحرية الكاملة لكل الناس والطبقات ،ونشر الرخاء بين جميع الناس ، وتوفير العمل وجعله حقاً لكل فرد ، وكفالة الدولة لجميع مرافق الحياة و إيصالها لكل الناس بلا مقابل ما دام ذلك ممكناً. وتوفير الامن ، ومحاربة كل ألوان الفساد والتكامل الاجتماعي ، والشورى ، والقضاء على الامتيازات ، ونشر التعليم ، وغيرها مما عليه سعادة الفرد والمجتمع .

ان علينا ان نهيىء الجو المناسب للشباب حتى يتمتعوا بهذه المميزات ، ويشعروا بواجبهم نحوها ، واحقيتهم فيها ، فهم عماد الامة واملها في تحمل اعباء المسؤولية .

ان بُعدَ المثل العليا عن الشباب ، او افتقادهم لها في مجتمعهم تذهب بفكر الشباب وأهدافه مذاهبَ شتى ، وينتهز اصحاب المبادىء الهدامة هذه الحال ، فيستدرجونهم الى مزالق شتى ، وينجرفون معهم في تيارات مذهبية ، وعقائدية مختلفة ، وهذا ما نلمسه في بعض شبابنا اليوم .

ان علينا ان نحميَ جوامعَ هذه الفضائل ، ونُبْقِيَ عليها في نفوس الشباب وأهمها : السمو الروحي وهو يقوم بدوره في صد تيار المادية المتغلب على أفكارنا وحياتنا بل وأهدافنا ، والدعوة الى الاخوة الانسانية ، وتحرير الشعوب من ربقة الاستعمار بجميع الوانه المادية والعسكرية والعلمية والثقافية ، والعمل على نشر الثقافة النابعة من التراث الاسلامي ، والقائمة عليه ، وَلْيكنْ لنا من القادة والمفكرين الاسلاميين مُثُلٌ تُحتذَي في مختلف مجالات الحياة ، والعمل على نشر هذه السيرة بلغات مختلفة ، ليحسن التعرف على امجادنا وبطولاتنا ، فالحضارة الاسلامية هي المنارة التي يجب ان تشرق للعلم طريقه ، فنورها يظل وهاجاً وسط الاعاصير الهوجاء الآتية من الشرق اوالغرب ،وكثيراً ما ينصرف اصحاب اللغات غير العربية عن القراءات الاسلامية الصحيحة ، وذلك لقلة المراجع السليمة بين ايديهم ، والجيدة التوضيل للمعلومات ، والبعيدة عن الحشو واللغو المضيع لبهاء المعنى .

وأخوف ما نخافه على شبابنا المسلمين في ربوع العالم من هذه القراءات والأفكار المطروحة عليهم بلغاتهم ، وهي غير موثقة ، ومؤلفوها في قلوبهم مرض ، فنالوا من الاسلام ، بما اثبتوه من أفكار مشوهة في اثناء كتابتهم عن الاسلام والمسلمين والحضارة الاسلامية ونبيِّ الاسلام ، ولم يقتصر هذا الزيغ على لغة دون اخرى ، بل دُوِّنت كتب باللغة العربية في عصرنا هذا وأيامنا التي نعيشها كلُّها افتراءٌ وكذبٌ على الاسلام ، اذكر منها هذا التفسير المزيف بعنوان « الهداية والعرفان في تفسير القرآن » وكتاب آخر لا يقل عنه جُرماً وخطراً هو : « نحو آفاق اوسع » لأبكار السقاف. وقد صودر الكتابان بعد تناول المسلمين وغيرهم لها .

وفي تصوري : الا يسمح بطبع اي كتاب يمسُّ الاسلامَ في بلادنا ـ على الاقل ـ الا بعد الاذن له من جهات علمية موثوق بها . وعندما نسطر فكراً إسلامياً صحيحاً وندونه بلغات مختلفة بين ايدي شبابنا المتفتحين يكون هذا الفكر خيراً الف مرة من التصدي لأقلام هؤلاء المفترين على الاسـلام والمشككين فيه ، فالشاب غني عن اللجاجة وبلبلة الفكر خاصة اذا كانت هذه البلبلة تمس عقيدته .

وفي تصوري ايضاً . ان شبابنا اليوم ـ امام اعباء الحياة وتياراتها المختلفة ـ في حاجة ماسة الى توحيد تام في كل متطلبات التشريع الاسلامي واحكامه واوامره ونواهيه . ان تقديم اسلام بلا مذاهب للشباب هو خير عميم ينهل منه كلُّ انسان دون تحرج ، وندع المذاهب للمتخصصين يدرسونها ، ويقدمون لنا منها ما يفيد الامةَ الاسلاميةَ في جميع جوانبها حتى تسعد بدينها بعيداً عن المتاهات الفكرية التي لا طائل تحتها ، وهذا ما لمسته بنفسي في بعض مجتمعات الشباب الجامعي .

إذ أقْدَم بعضهم على بعض يتلاومون ، لأن هذا الشاب قرأ الفاتحة في الصلاة بدون « بسملة » والآخر قرأها بها ، وآخر لم يقرأ شيئاً في صلاة الجماعة . ولكل منهم حجته المرتبطة برأي في مذهب من المذاهب ، واشتطوا في كلامهم ، ونفى كل منهم صحة صلاة الباقين . واقل من هذا في التقدير ان احدهم قرأ القرآن ولم يعطِّشْ حرف «الجيم» وتساءل الآخر هل يصح ان يُؤتَمَّ به ؟؟

ومازلنا إلى الآن نقرأ عن الجماعات الإسلامية المتطرفة ، وماقامت به من اعمال بعيدة عن المثل العليا الاسلامية ، بل بعيدة كليـةً عن جوهـر الاسلام ، وحقيقته ، والاسلام منها براء ، فهل نترك شبابنا بين ايدي هؤلاء المتشددين او المارقين عن هدى النبوة بحجة انهم يدافعون عن الاسلام والمسلمين ؟ .

اني اهمس في أُذُن كل شاب ان يراجع المبادىء والمثل العليا التي تنشدها هذه الجماعات ، وطريقة تنفيذها قبل ان ينضم اليها ، وان يُكشَفَ النقاب عن جوهرها ويتمثل في ذلك قول الله تعالى: (وَمَآ اٰتَاكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَٱنْتَهُوا)،[1] وقوله سبحانه: (... اَطِيعُوا ٱللّٰهَ وَاَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ وَاُولِي ٱلْاَمْرِ مِنْكُمْ)،[2] وقوله سبحانه: (... فَاِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ اِلَى ٱللّٰهِ..[3] الآية)، والمؤمن كيّس فطن، يستطيع ان يميز الحق من الباطل، ويدرك سقطات اللسان والاقلام.

ان هذا هو التسامي والاعلاء الذي يرفع منزلة الشاب ويسخر طاقاته المتعددة في خدمة الاسلام كما رسمها التشريع الاسلامي منذ وجوده ، وهو نفس القول الذي يعرضه علينا علماء عصرنا ، اذ « يعتقد يونج ان الطاقة النفسية قابلة للازاحة ، ويعني ذلك ان من الممكن تحويلها عن احدى العمليات في نظام معين الى عملية اخرى في نفس النظام ،أو في نظام مختلف ، ويتم هذا النقل وفق المبادىء الدينامية الاساسية للتعادل والانتقال ، اما اذا كان الذي يحكم الازاحة عملية التفرد والوظيفة المتعالية ، فانه يسمى اعلاء او تسامياً ، ويصف التسامي بازاحة الطاقة من عمليات اكثر بدائية وغريزية ، وأقل تفاضلاً الى عمليات ثقافية وروحية اسمى واكثر تفاضلاً .

فمثلاً عندما تسحب الطاقة عن الدفعة الجنسية وتستثمر في القيم الدينية ، اذ ذاك يقال: إن الطاقة قد تسامت ، فقد تغير شكلها بمعنى ان نمطاً جديداً من العمل يؤدَّي ،وفي هذه الحالة يحل العمل الديني محل العمل الجنسي»[1]، قال الله تعالى: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللّٰهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا ٱللّٰهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْاٰخِرَ وَذَكَرَ ٱللّٰهَ كَثِيرًا *)[4] والاسوة هي

---

1 ـ الشخصية الناجحة ـ في سبيل موسوعة نفسية رقم 14 ص 119 .

(1) سورة الحشر الآية: 7.

(2) سورة النساء الآية: 59.

(3)سورة النساء الآية: 59.

(4) سورة الأحزاب الآية: 21.

القدوة والحالة التي يكون الانسان عليها في اتباع غيره ، ونحن الآن بصدد تحديد الهدف السامي امام شبابنا حتى لا يتعثروا في بلوغ الغاية ، وكل فرد يعجب بسواه خليق بأن يتشبَّه به ، ويتمثله في كل افعاله واقواله وحركاته وسكناته ، ويظل الشاب يتعلق بمن يعجب به حتى يكون نسخة اخرى منه ، وهذا ما نلاحظه منذ نعومة اظفارنا عندما كنا نقلد آباءنا وأمهاتنا واخواننا ومدرسينا ، بل وقادتنا وعظماءنا الذين درسنا شخصياتهم ، ولمسنا آثار اعمالهم بيننا .

ونلاحظ ان القدوة الطيبة تهبط وتتحطم عند اول كبوة من صاحب القدوة ، ولهذا يقف الشاب المسلم حائراً عندما يرى والده العظيم - في نظره - يحتسي الخمر دون علم الاسرة ، او يرتكب منكراً نهى ابنَه عنه . ومن هنا يكون الضياع والتخبط في طريق الحياة: « ان المثل الاعلى هو اقوى عامل في تقرير خُلُق الإنسان وفي تعيين مسلكه ، لأنه هو وحده الذي يستطيع تنبيه الارادة ، وتنظيم جميع الغرائز في كلٍّ واحدٍ متناغمٍ متوافق ، وبدونه يصبح الانسان تحت سلطان التأثيرات المشوشة التي تحدثها الغرائز المصطرعة ، وبه تلتحم الشخصية بعضها مع بعض ، وتتماسك متجهة الى غرض واحد مشترك .

إن المثل الاعلى هو الذي يحدث بلوغه الاكتمال ، وتحقق الذات ، وهو الذي ينبه الارادة الى النشاط على الفور ، ويقرر اتجاه النشاط ونوعه .

وهو فكرة جديرة باشباع سعي النفس الى الاكتمال ، والفكرة حقيقة نفسية في حدِّ ذاتها ، والمثل الأعلى فكرة لحالة خاصة تتفق مع طبيعة الاشياء بشكل يمكنها ان تجتذب اليها انفعالاتنا كلها ، ومن ثم فهي تشتمل على كل ما يمكن النفس من تحقيق الذات »[1]

---

1 ـ علم النفس والاخلاق ـ تحليل نفسي للخلق ـ ج . أ . هادفيلد ترجمة محمد عبد الحميد أبو العزم ص 121 مكتبة مصر ـ القاهرة .

إن الشاب عندما يعجب بشخصية الرسول الكريم، ويُفتَن بها، وبما قدمته للبشرية من اعمال وافعال وأقوال فانه سيعمل على تحويل بل استعلاء غرائزه. ان الشاب سيغير من سلوكه وفكره الى ما يتناسب مع الطابع الجديد، وسنلحظ تغييراً شاملاً لجميع انواع نشاطه الخاص والعام عن قناعة وارادة ذاتية خالصة لا عن اجبار او إكراه، فهذا يتنافى مع الاعجاب والتقدير، وسوف يتحول السلوك الحيواني في الشاب الى سلوك انساني مهذب، فالشاب يعرف قدر ذاته، وامكاناته العالية التي تؤدي دوراً ايجابياً للذات، ولغيرها عندما يكون هناك تقارب بين الشاب والمثل الاعلى.

انه يرجو الله وثوابه، وهو عالم لم ير سوى صنع الله، وما عرَّفه الله عليه من تشبيهات مجازية حتى يدرك ما في الجنة، فمن يكفيه مؤونة البحث عن طريق الجنة بما يعرضه عليه من مثل عليا ؟

إن الشاب لا يجد قدوة أعلى من مقام الرسولﷺ. ومن هنا يأتي هذا التقارب والاندماج بين المشبَّه والمشبَّه به.

« ان المثل الاعلى الصائب هو من الناحية السيكولوجية ذلك الذي يستطيع جلب التوافق للنفس باجتذاب الانفعالات الغريزية جميعاً، وهو الذي يستطيع ـ باستثارة الارادة الى غرض مشترك ـ ان يصبَّ الفرد ـ باعتباره وحدةً سيكولوجيةً ـ في قالب كائن حي، وهو الذي يضمن تحقيق الذات والسعادة، وذلك باشباع السعي الى الامثال.

ان حيازة مَثَلٍ أعلى او غرض في الحياة هي إذاً اهم الامور الضرورية للارادة القوية والخلق المتزن »[1] واذا كان الرسولﷺ قال : « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فالشاب المؤمن انما يتعلق بالمثل الاعلى من صنع الله الذي أتقن كل شيء.

---

1 ـ المصدر نفسه ص 124 .

والاتقان في الرسول الاعظم واضح في جميع جوانب حياته الانسانية وغيرها ، ولا يستطيع الشاب ان يجد من يحتذى به الا وله عثرات وعثرات ما عدا شخصيةَ الرسولﷺ فهي خالية منها ، قال تعالى : (وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)[1]،وصاحب الخلق العظيم بعيد عن العثرات لأن تكوينه السليم ، وصفاته الحميدة تلفظها ، ولا ترضى بها ، فقد جُبِل على التسامي والسمو الذي حباه الله به ، (.. وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ)[2] ومحمد مَثلٌ أعلى للناس جميعًا ، يقتدون به ، ويهتدون بهديه حتى ينالوا محبته ومحبة رب العالمين ، (مَنْ يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ)[3] فاذا عرف الشاب المؤمن ان مَثَلَه الاعلى يفيده إفادات متعددة فلا بد ان يكون اقباله عليه عظيماً ، وحرصه على الاحتذاء به دقيقاً وهاماً ، فالشاب يفيد من الرسول القدوة الحسنة ، والشفاعة يوم القيامة ، ورضاء الله تعالى عليه ، وفوزه بالجنة ، وبدنيا ترفرف عليها السعادة التامة نتيجة سلوكه الحميد ، وسيرته الحسنة بين المسلمين . كل هذه الجوانب تؤكد ارتباطه به حتى النهاية ، ولهذا دعانا الله سبحانه إلى أن نقوي صلتنا بمحمد ، بالصلاة عليهﷺ في قوله تعالى : (إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)[4] فالصلاة عليه تجمع الحب والتقدير والاعجاب ومن هنا يتم الترابط القوي بين الشباب ورسولهم ودينهم وربهم ، فنضمن لهم حياة مستقرة آمنة ، وادعة بعيدة عن مكايد الشيطان ، وهذا ما نصبو اليه .

وهو نموذج علوي ، ومنارة سماوية تتلاحق الأنفاس لتصل اليه ، ولكن. . . وقد حاول جماعة من الصحابة ان يفعلوا ذلك - كما سبق - ولكن الرسول نهاهم عن التشدد في العبادة ، فان المنبتَّ لا ارضاً قطع ، ولا ظهراً أبقى ، وطلب الرسول منا ان نوغل في هذا الدين برفق ، حتى ننال منه الخير دون ان نشقَّ على انفسنا ، ولهذا كان اذا عُرِض عليهﷺ أمران ، احدُهما اشقُّ من الآخر اختار ايسرَهما .

---

(1) سورة القلم الآية: 2.
(2) سورة الروم الآية: 27.
(3) سورة النساء الآية: 80.
(4) سورة الأحزاب الآية: 56.

وقد رخص الله لنا كثيراً من العبادات في ظروف تسمح بذلك ، ولم يطلب منا الرسول البعد عنها ، بل حضّ المسلمين على استخدامها ، فقال : « ان الله يحب ان تُؤتَى رُخصَه». ومع وجود الاهمية في بعض مصالح الناس بها حضهم الرسول عليها دون ان يأمرهم بها إشفاقاً عليهم مثل موقفه من السواك فقال : « لولا أن أشقَّ على امَّتي لأمرتُهم بالسواك عند كل صلاة ».

ومثل ذلك ما حدث في صلاة القيام ، صلاها في المسجد ، فلما شعر بتجمع المسلمين ورغبتهم في أدائها بالمسجد دخل الرسول بيته ، وصلاها ، حتى لا يلتزموا بذلك فيشق عليهم .

ومن ذلك ايضاً مراجعته للزاني المعترف بخطيئته : لعلك فاخذتَ ، لعلك. . . لعلك. . حتى لا يدع مجالاً للشك في عقله وقلبه . او لعله يرجع عن قوله ويكتفي بالتوبة القلبية دون إقامة حدٍّ عليه .

وهنا تتعالى النفوس في منطقها وصفائها وإقبالها على الله سبحانه وتعالى، ولذلك كانت توبته عظيمة القدر عند الله ، واستحقت ان توصف بما وصفها به الرسولﷺ :إنه تاب توبةً لو تابها اهل المدينة لوسعتهم ، او اهل الارض .

فالقصد بيان نقاء هذه التوبة ، والتضحية بالروح في سبيل رضاء الله وعفوه ومغفرته .

ان نظرة هذا المؤمن نزاعة الى الكمال ، والى المثل الاعلى ، إلى القرب من الصفاء الروحي الذي أحسه في مَثِلِه الاعلى ، فأراد التطهير من ذنوبه بالتوبة الكبرى ، توبة التضحية حتى يرضى الله . « ولن يثبت الناس ـ حتى الصاعدون منهم ـ عند اقصى نقطة يصلون اليها ، ففي طبيعة البشرية ان تهبط في لحظة الضعف عن المستوى الذي تقدر على الصعود اليه ، ولكن في طبيعتها كذلك ان تعود الى الصعود .

والصورة المثالية هي المشجع لهم على الصعود اولاً ، ثم على العودة الى الصعود بعد كل انتكاس ، ومن هنا يلتقي الواقـع بالمثال في حقيقة الحياة ، كما يلتقيان في حقيقة الفطرة ويكمل كلٌّ منهما الآخرَ في حلقة محكمة الاتصال. . والاسلام دين الفطرة . . لا يفصل من ثَمَّ بين الواقع والمثال . . بل يمزجهما مزجاً محكماً في دستوره الرفيع »[1]

وما دام القرآن الكريم بين أيدي شبابنا ، وهو شريعتنا ، ومصدر ديننا الحنيف « فصلته واضحة بالمثل العليا للمجتمع الاسلامي ، لأنه وحده الذي يرسم المُثُل ، ويحدد معالمها ، وهو في حياتنا كلمة [الله]، لذلك فان ايمان المسلم بكتابه ، واستجابته لتوجيهاته العملية في حياته اليومية ، ربما يفوق ايمان غيره بكتابه ، وكل تعاليم القرآن يجب ان تكون موضع رعايته واهتمامه دائماً »[2] ، وبه يكون الترابط كاملاً بين الشباب والمثل العليا في الإسلام، قرآنًا وتشريعًا ورسولاً.

---

1 ـ دراسات في النفس الإنسانية ـ محمد قطب ص 382 .

2 ـ الفكر الديني في مواجهة العصر ص 106 .

الإيثار والشباب

ننطلق في حديثنا هذا من قول الحق: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) فهذه الصورة التي رسمتها الآية لا تقف عند حد الإيثار الذي يكون الإنسان فيه غير مثقل بأعباء الحياة ، وشظف العيش فيها ، بل تحدّتْ أسوار النماذج البشرية المألوفة الى نموذج أرقى وأصفى من سابقه ، وهذا النموذج لا يملك من الدنيا غير ضرورات الحياة التي يقيم بها أَوَدَه ، ثم لا يلبث ان يفرط فيه لسواه من المحتاجين عن رغبة وايمان بان الله هو الرزاق ذو القوة المتين .

إن الإيثار طاقة كبيرة تتحول الى عطاء دائم لا تقف عند حدٍّ معيَّن ، بل إن صاحبها يتفانى في عطاء سواه حتى النهاية ، فهي تعمل لرفعة الحياة ، وهناك طاقة اخرى مقابلة لها ، وهي الأثرة التي تناقض الإيثار ، وتتوارى بها معالم الانسانية في الانسان المتصف بها ، واذا فُطِر الشاب على حب الذات فَقَدَ الاخلاق الاسلامية ، والتربيةَ الروحيةَ التي فطرنا الله عليها ، وثبتها الرسول الكريم فينا بأقواله وأفعاله .

أما الإيثار فقد تعلمناه من هَدْيِ النبوة ، في حَدِبِ الرسول ورحمته بالمسلمين ، وفي دعائه لهم ، وفي طلبه التخفيف عن امته عندما فرض الله الصلاة خمسين ، وسأل الرسول ربَّه العظيمَ التخفيفَ مرةً بعد مرة حتى صارت خمس صلوات . تعلمنا من الرسول الإيثار في كل افعاله ، وفي كل موقف من مواقفه الكريمة في حرب او سلام ، كما كان حريصاً على راحة المسلمين وعزتهم والإشفاق عليهم، ورأفته بهم ، ولولا هذه المميزات

---

(1) سورة الحشر الآية: 9.

الدافعة الى خلق الشخصية السليمة المثالية ما اجتمع الناس حول الرسول، ورضوا به، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(1)، فالسمو الذي نلتمسه من الشاب المسلم يمر بمرحلة سيطرته على شهواته، ثم يتحرك من منطلق العقل والروح والشعور بالواجب الانساني فيُقدِم عليه بنفس راضية لا متحرجة، ولا متأبية في أدائها، فهي تقدم افضل ما لديها لغيرها، شاعرةً بلذة العطاء وجماله في عالم الإنسانية.

وبنفس الإرادة الملهمة القوية يتجه الشاب المسلم إلى أروع فنونه التي تسهم في رفعة الحياة وتقدمها. وعلى النقيض تكون الاثرة، فهي تدفع الشابَّ الى الجريمة، اذ يتحول من حب الآخرين الى حب الذات، وحبُّ الذات يهدم في النفس كلَّ معاني الفضيلة والمحبة والخير والكرامة والانسانية، ويترتب على ذلك وقوع الجرائم. «إن الأثرة توجه صاحبها الى حب التسلط تحت ستار الإيمان والاستسلام للشهوات تحت ستار العاطفة، والكبرياء، تحت ستار الكرامة، والجهالة، تحت ستار الحفاظ على التراث، بل والى الاحقاد تحت ستار الثأر والانتقام.

ومما لا شك فيه ان العقائد والتقاليد والفلسفات والآراء والمشاعر كلها لم توجِدِ الناموس الخلقي، ولم تغرس بذوره في بطن الطبيعة، بل لقد اقتصر دورها على كشفه عندما بلغ عقل الانسان ووجدانه القدرة على هذا الكشف الذي غيَّر مصير ومستقبل الحياة البشرية، وسما بها تدريجياً الى اتجاه مغاير لاتجاه حياة الحيوانات..

اتجاه جعل الانسان يقف شامخاً على قدميه في طريق التطور والارتقاء التدريجي البطيء الذي وصل به الى حالته الآن. والتطبيق العملي للإيثار أصعب بمراحل عديدة من الاقتناع النظري بقيمته لأنه يتطلب محبة

---

1 ـ سورة التوبة آية 128.

للآخرين الى حد إنكار الذات ، كما يتطلب مع قوة الارادة تصميماً على ضبط النفس وإبعادها عن الشهوات والغرائز ذات المحاسن المشجِّعة »[1]

ومما هو جدير بالذكر ان الشاب المسلم في حاجة ماسة الى أسرة كريمة يتمثل فيها الايثار حتى تنبت فيه هذه الصفة مع مرور السنين ثم ينتقل بعد ذلك ليصبح الشاب مستقلاً في تصرفه وحياته الخاصة ، فالإيثار ـ كما ألْمحنا ـ يُعَدُّ تطوراً للفضائل الإنسانية حتى يصل به الى درجة الكمال ، وفي هذه الحالة تتأصل فيه هذه الفضيلة ، فلا يتأثر بأي موجة من موجات الاضطراب الاجتماعية او الشخصية ، فالاسلام يزيد وينقص ، وبين النقص والزيادة تتفاوت العلاقات الانسانية بين الشباب، فالشاب يقصد رضاء الله ويخافه ويخشاه ويحبه، وهو يعبده كأنه يراه ، وهو مطلع عليه سبحانه ، ولا تخفى عليه خافية في الارض ولا في السماء ، ومن هذه العقيدة يُسْلِم الشاب وجهه لله غير متأثر بتفاهات الآخرين ، ولا يرجو منهم شكراً على ما يقدمه من خير ، اذ اصبحت طبيعته الجديدة مبنيةً على الايثار: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ).[2]

إن إسناد الشح للنفس يفصح عن عملية تطهير النفس ، وشفافيتها حتى يتسنى لها فرصة العطاء الكلي لا الجزئي ، العطاء الأسمى لا الادنى ، العطاء بكل جوانبه المادي منه والمعنوي الذي يسعى اليه الاسلام في قوله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ)[3] فهو غير محدود، اذ يشمل التضحية بالنفس والمال.

ويكفي تكرمةً للشباب ان جعل الله أهل الجنة كلَّهم شباباً. قال تعالى: (إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً * فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا عُرُبًا أَتْرَابًا)[4] فلا

---

1 ـ الشخصية الناجحة ـ سيجموند فرويد وآخرون ـ عرض وتقديم د/ مصطفى غالب ـ موسوعة نفسية رقم 15 ص 124 بيروت 1980 .

(2) سورة الحشر الآية: 9.

(3) سورة التوبة الآية: 111.

(4) سورة الواقعة الآية: 37.

يدخل الجنةَ عجوز وأُهل الجنة ينعمون فيها خالدين ، والتنعيم للفتاة بأن تظل شابة دائماً ، فهذه المرحلةهي الحيوية والحياة وهي دلالة على الجمال والبهاء .

وإذا أضيف لمتع هذه المرحلة متعُ الجنة كان التمتع كاملاً من جميع جوانبه ، وهذا فضل من الله على عباده الصالحين .

موقف الإسلام من حب الشباب

الحبُّ طبيعةٌ في الإنسان لا ينكرها أحد ، ولا حدود لها ، فهي تزيد وتنقص حسب العوامل المهيِّئة لقوة دفعها او خُفُوتها، وهي تفيض في قلب الشاب فيضحّي بحياته في سبيل من يحب .

ويلاحظ القارىء انه اذا تعلّق قلب الفتى بأحد فانه يشغف بمن يحب حتى يصير عبداً لمن يحب ، ونحن لا نقول للشاب توقف عن الحب فإننا بذلك نقتل أسمى عاطفةفي الانسان خاصةاذا استطاع المشرفون على تربية الشباب تهذيبها لهم ، وتوضيح مسارها عندهم ، وبيان حدودها وبدايتها ونهايتها كما يلي :

فاذا انفتح قلب الشاب او الشابة على قوله تعالى: (قُلْ اِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اَللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اَللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ)[2] الآية ـ فانه سيحاول ان يتعرف على هذه المحبة واسلوبها ، ولا يتم له ذلك الا اذا عرضنا اسباب نزول هذه الآية الكريمة ، ليعرف الفرق بين الادعاء والحقيقة في الحب ، والآية تكشف امر المدّعين لحب الله .

ومن اسباب نزولها ما رُوِيَ عن ابن جريج[1] زعم اقوام على عهد الرسولﷺ انهم يحبون الله ، فقالوا يا محمد إنا نحب ربَّنا فأنزل الله تعالى هذه الآية ، وروى جبير عن الضحاك عن ابن عباس قال : وقف النبي

---

1 ـ انظر تفسير الطبري 322/6 ـ 323 .

(2) سورة آل عمران الاية: 31.

ﷺ على قريش وهم في المسجد الحرام وقد نصبوا اصنامهم ، وعلقوا عليها بيض النعام ، وجعلوا في آذانهم الشنوف [والفرطة] وهم يسجدون لها فقال : يا معشر قريش لقد خالفتم مِلَّةَ ابيكم ابراهيم واسماعيل ، ولقد كانا على الاسلام ، فقالت قريش يا محمد انما نعبد هذه حُبًّا لله ليقربونا الى الله زلفى ، فانزل الله تعالى : (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ ...) وتعبدون الأصنام لتقربكم اليه (... فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ...)[1] فأنا رسوله اليكم وحجته عليكم ، وانا اولى بالتعظيم من اصنامكم .

وروى الكلبيُّ عن ابي صالح عـن ابن عباسٍ : ان اليهود لما قالـوا : نحن ابناء الله وأحباؤه انزل الله تعالى هذه الآية فلما نزلت عرضها رسول الله ﷺ على اليهود فأبوا ان يقبلوها .

وروى محمد بن اسحاق بن يسار عن محمد بن جعفر بن الزبير قال نزلت في نصارى نجران ، وذلك انهم قالوا : انما نعظم المسيح ونعبده حباً لله وتعظيماً له ، فأنزل الله تعالى هذه الآية رداً عليهم »[1]

ان الحب قوام الحياة الدنيا والآخرة ، فيه ينمو الكرم والعطف والحنان والمودة والتآلف ، وتختفي القسوة والبطش والظلم والأثرة. إن المحب قريب من الله بعيد عن الشيطان ، فالشاب يأتي حرثه ، ويقدم الخير لنفسه ، ولمجتمعه ، فهو يخلف ذريةً طيبةً تسبح الله تعالى ، وتسعى في الارض بالخير، بالامر بالمعروف ، وبالنهي عن المنكر . إن الاسلام قد دعا الى الزواج وحث عليه ، فلا رهبانية في الاسلام ، وقد جاء في سبب نزول قوله تعالى: (يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ ...)[2] .

1 ـ عن ابن عباس ان رجلاً أتى النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ،

---

1 ـ أسباب نزول القرآن لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي ص 97 دار الكتاب الجديد سنة 1969 القاهرة .
(1) سورة آل عمران الآية: 31.
2 ـ سورة المائدة من الآية 87 .

وقال: اني إذا اكلت هذا اللحم انتشرت الى النساء، واني حرمت على نفسي اللحم. فنزلت هذه الآية، ونزلت ﴿وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَالاً طَيِّبًا...﴾ .

2 ـ قال المفسرون جلس رسول اللهﷺ يوماً فذكّر الناس ، ووصف القيامة ، ولم يزدهم على التخويف ، فرقّ الناس وبكوْا، فاجتمع عشرة من الصحابة واكثرهم من الشباب في بيت عثمان بن مظعون الجمحي ، وهم ابو بكر الصديق ، وعلي ابن ابي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وابو ذر،ومعقل بن مقرّن. واتفقوا على ان يصوموا النهار، ويقوموا الليل ، ولا يناموا على الفرش ، ولا يأكلوا اللحم ، ولا الودك ولا يقربوا النساء والطيب ، ويلبسوا المسوح ، ويرفضوا الدنيا ، ويسيحوا في الأرض ، ويترهبوا ، ويجبوا المذاكير. فبلغ ذلك رسول اللهﷺ فجمعهم فقال : ألم أنبأ أنكم اتفقتم على كذا وكذا فقالوا بلىٰ يا رسول الله ، وما اردنا الا الخير، فقال لهم : إني لم أؤمر بذلك .

ان لأنفسكم عليكم حقاً ، فصوموا وأفطروا ، وقوموا وناموا فإني أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدّسم . من رغب عن سنتي فليس مني ، ثم خرج الى الناس ، وخطبهم فقال ما بال اقوام حرموا النساء والطعام والطيب والنوم وشهوات الدنيا ، اما اني لست آمركم ان تكونوا قسيسين ولا رهباناً ، فانه ليس في ديني ترك اللحم والنساء ، ولا اتخاذ الصوامع ، وان سياحة امتي الصوم ، ورهبانيتها الجهاد ، واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً ، وحجوا واعتمروا ، وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وصوموا رمضان ، فانما هلك من كان قبلكم بالتشديد ، شدّدوا على انفسهم ، فشدد الله عليهم ، فأولئك بقاياهم في الديارات والصوامع ، فأنزل الله تعالى هذه الآية ، فقالوا يا رسول الله كيف نصنع بأيماننا التي حلفنا عليها؟ وكانوا حلفوا على ما

عليه اتفقوا، فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَانِكُمْ...﴾[1] قد لاقى الشباب موعظة الرسولﷺ بهذا العزم الاكيد وهذه النية الصادقة في ترك ملذات الحياة وطيباتها، ولكن الرسول الأعظم قدم لهم العلاج الشافي الذي جمع خيريْ الدنيا والآخرة، ولولا حبهم لرسولهم لانصرفوا عن هذا وذاك، ولولا كمال محبة الإيمان في قلوبهم ما فكروا في الرهبنة والعبادة الدائمة، ولكن فهمهم لحقيقة الايمان كانت قاصرة، وعندما استوعبوها من الرسول الأعظم، استطاعوا الجمع بين المحبة الكبرى لله ولرسوله، والصغرى وهي لخيرات الدنيا من النساء، والمتع الحلال. ولا ينفي وجود المحبة الكبرى ضياع المحبة الصغرى، او فقدها ولكن اذا انتفت المحبة الكبرى ضاع الإيمان، وخيف على المحبة الصغرى، قال ابن الجوزي: «لو بطلت مسألة المحبة لبطلت جميع مقامات الإيمان والاحسان، ولتعطلت منازل السير الى الله، فانها روح كل مقام، ومنزلة وعمل، فاذا خلا منها فهو ميت لا روح فيه، ونسبتها الى الاعمال كنسبة الاخلاص اليها، بل هي حقيقة الاخلاص، بل هي نفس الاسلام، فانه الاستسلام بالذل والحب والطاعة لله، فمن لا محبة له لا اسلام له البتة، بل هي حقيقة شهادة ان لا اله الا الله، فان الإله هو الذي يُؤلِّهه العباد حباً وذلاً وخوفاً ورجاء وتعظيماً وطاعة له بمعنى «مألوه» وهو الذي تُؤلِّهه القلوب اي تحبه وتذل له، وأصل «التألُّه» التعبد. والتعبد آخر مراتب الحب، يقال عبَّده الحب تيَّمه اذا ملكه وذلله لمحبوبه.

فالمحبة حقيقة العبودية، وهل تمكن الإنابة بدون المحبة والرضا والحمد والشكر والخوف والرجاء.

وهل الصبر في الحقيقة الا صبر المحبين، فانه انما يتوكل على المحبوب في حصول محابه ومراضيه، وكذلك الزهد في الحقيقة هو زهد المحبين،

---

1 ـ المصدر السابق ص 99. (1) سورة المائدة الآية: 89.

فانهم يزهدون في محبة ما سوى محبوبهم لمحبته ، وكذلك الحياء في الحقيقة انما هو حياء المحبين ، فانه يتولد من بين الحب والتعظيم . وأما ما لا يكون عن محبة فذلك خوف محض ؟[1]

وجعل ابن القيم الفقر والغنى والخلة من سمات المحبين .

ويلاحظ ان معرفة المرء ما هو مُقدِمٌ عليه معرفةً جادةً وواضحةً ومقننةً كفيل ذلك بتمييزه بين الغث والسمين ، ومن ذلك عندما يحس بالشوق او الحب او الرغبة الى فتاة ، فان من الواجب ان يعرف مقدار ما يحس به ، وما هو مُقدِمٌ عليه ، أهي نزوة طارئة ، أو حب وشوق كَمنَ في قلبه وسيطر على احاسيسه .

والشاب المؤمن لا يورد نفسَه مواردَ الشطط والنزق والوقوع في الحيرة والاضطراب النفسي ، والشرود العقلي ، وهو يتمثل أمر الله سبحانه في قوله : (قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ...) الآية[2] والشاب بهذا التوجيه السليم يقفل كل الأبواب المنكرة على نفسه حتى اذا جاءت مرحلة الزواج ، وأعد نفسه لها اقبل عليها كما امره الرسول الكريم ، ونظرة العلماء والفلاسفة ورجال التشريع والادباء تكاد تتفق على ان المحب لا يكون على سجيته الاولى في أقواله وأفعاله واخلاقه ، وجميعهم ـ ايضًا ـ متفقون على ان هناك فرقاً بين النزوة الجسدية والحب ، فالاولى تنتهي وتخمد بانطفاء شعلة الرغبة بطريقة ما ، وتعود بتزجية الرغبة مرة اخرى ، وهي ناحية فسيولوجية كالطعام والشراب .

لقد تعددت آراء السابقين في الحب ، وجمع ابن القيم بعضها في كتابه ، وأضفى في ذكر العشق ومنازل العشاق وصفاتهم ، وماهم عليه. نعرض

---

1 ـ مدارج السالكين جـ 3 ص 36

2 ـ سورة النور 30 ـ 31 .

لبعضها: «قال المأمون ليحيى بن أكثم: ما العشق؟فقال: سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبُه، وتؤثرها نفسُه. فقال له ثمامةُ بنُ أشرس، : اسكت يا يحيى إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاق، أومُحْرِمٍ صاد ظبياً، فأما هذه فمن مسائلنا نحن. فقال له المأمون: قل يا ثمامة. قال: العشق جليس ممتع، وأليف مؤنس، وصاحب ملك، مسالكه لطيفة، ومذاهبه غامضة، واحكامه جارية، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعقول وآراءها، قد أعطى عنان طاعتها، وقوة تصرفها، توارى عن الابصار مدخله، وعمى في القلوب مسلكه، فقال له المأمون: «أحسنت يا ثمامة، وأمر له بألف دينار.

وقال بعضهم: قلت لمجنون قد أذهب عقلَه العشقُ: أجز هذا البيت:

وما الحب الا شعلة قَدَحَتْ بها

عيون المها باللحظ بين الجوانح

فقال بديهاً:

ونار الهوى تخفى وفي القلب فعلها

كفعل الذي جاءت به كف قادح

وقال الأصمعي: سألت أعرابياً عن العشق فقال:

جل والله عن أن يرى، وخفى عن أبصار الورى، فهو في الصدور كامن ككمون النار في الحجر. إن قُدح أَوْرَى وان تُرِكَ توارى.

وقال بعضهم: العشق نوع من الجنون، والجنون فنون، فالعشق فن من فنونه، واحتج بقول قيس بن الملوح:

قالوا جننت بمن تهوى فقلت لهم

العشق اعظم مما بالمجانين

العشق لا يستفيق الدهرَ صاحبُه

و إنما يُصرع المجنون في الحين

وقال آخر : إذا امتزجت جواهر النفوس بوصف المشاكلة انتجت لمح نور ساطع تستضيء به النفس في معرفة محاسن المعشوق فتسلك طريق الوصول اليه .

وقال اعرابي : العشق اعظم مسلكاً في القلب من الروح في الجسم ، وأملك بالنفس من ذاتها بطن وظهر ، فامتنع وصفه عن اللسان ، وخفي نعته عن البيان ، فهو بين السحر والجنون لطيف المسلك والكمون .

وقيل : العشق ملك غشوم ، مسلط ظلوم ، دانت له القلوب وانقادت له الألباب ، وخضعت له النفوس . العقل اسيره والنظر رسوله ، واللحظ لفظه ، دقيق المسلك ، عسير المخرج . وقيل لآخر : ما تقول في العشق فقال : ان لم يكن طرفاًمن الجنون ، فهو نوع من السحر »[1].

ان قلب الشاب اذا تفتح للحب ، وعمر بالحب من حوله نكون قد اخذنا منه خير الدنيا ، واذا وضعنا بين يدي الشاب الاسباب الجالبة لمحبة الله ، والموجبة لها نكون قد أنرنا له طريقيْ الدنيا والآخرة معاً .

فالذي يخشى الله ويحبه يخشاه الناس ويحبونه ، والأسباب كلها تدور حول معرفة الشاب لطاعة الله ، فقراءة القرآن الكريم ومحاولة ادراك معانيه اجمالاً او تفصيلاً ان استطاع فهو خير ، وذكر الله في كل حال ، وعلى كل حال ، و إيثار الطاعة والعبادة على سواها من مباهج الدنيا ، والنظر في ملكوت الله وصفاته وافعاله سبحانه ، والتقرب الى الله بالنوافل، والخشوع له ، والقرب من أحبابه ومخالطتهم ، والبعد عن كل شيء ينسى طاعة الله . انها مفاتيح الحب الالهي ، وهي يسيرة على من يسَّرها الله له . وملاك هذه الامور في نفس الشاب يرجع الى الاستعداد الروحي عنده وانفتاح عين البصيرة على نور الله .

---

1 ـ روضة المحبين ونزهة المشتاقين ص 38 ـ 39 .

وبهذا نكون قد وضعنا بين ايدي شبابنا طريق الرشاد، وتبصُّر الشاب بأمور دينه يتيح له التعرف على ما يعتريه من تطورات ، كما انه يستطيع ان يقضي على مرحلة الشك التي تمر به عندما يسلّح نفسه بالحب الالهي ، ويتمسك بالاسباب المنجية له من المزالق الشيطانية ، والآراء المسمومة التي تجتاح شبابنا الآن .

إن كثيراً من مشاكل الشباب تكمن في اختلاف نظرات الشباب للحب ، وما أغنانا عنها عندما يعلم شبابنا كل شيء عنه ، وعندما يقي نفسه عثرات الخطيئة ، ويتحلى بملابس الفضيلة ، ويستضيء بنور الله وحب الله .

اما صوفية اهل السنة « فيقيمون نظرية في الحب جمالية يناجون فيها الحبيب ، ويتشوقون ايضاً الى لقائه ، والى تأمل ذاته ، بل ان بعض رجال مدرسة البصرة يستخدمون آيات ابراهيم الخليل ، ويستخرجون نظرية الخلة ، ونظرية الحب ، وبينما تستند النظرية الاولى الى قصة ابراهيم واتخاذ الله له خليلاً ، تستند النظرية الثانية على آية محمد واصطفاء الله له على العالمين .

والاصطفاء عندهم ارقى انواع الحب ، ومدرسة البصرة ـ كما نعلم ـ مدرسة سنية واضحة ، ثم يأتي صوفية الحلول وصوفية وحدة الوجود فيتخذون نفس الآيات أساساً لنظرياتهم التي اختلطت فيها عناصر اسلامية ، وعناصر خارجية .

ولم يكن القرآن وحده مصدر هؤلاء الصوفية جميعًا، سلفاً او سنة او فلاسفة ، بل امدهم الحديث بمادة كبيرة عاونت على اقامة نظرياتهم في الحب. ففي الحديث القدسي : « من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة ، وما تردَّدتُ في شيء كتردُّدي في قبض نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، واكره مساءته ، ولا بد له منه ، وما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحب اليَّ من أداء ما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرب اليَّ بالنوافل حتى احبه ، فاذا

احببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمع به ، وبصرَه الذي يبصر به ، ويدَه التي يبطش بها ، ورجلَه التي يمشي بها » . وغير هذا الحديث كثير نجده في كتب الصحاح ، كما نجد اكثر في كتب التصوف »[1]. فنظرية الحب في الاسلام قائمة على دعائم من الكتاب والسنة ، ولولا المحبة ما كانت المودة ، ولولا المودة ما عاش الناس متحابين متآلفين .

واذا كنا نستشعر الحب ، ونخلص فيه منذ ولادتنا في اسرتنا ومع اهلينا فانه ينمو نقياً مع الآخرين ، ثم ننميه في صورة عليا لعقيدتنا في طاعة الله ورسوله. فالحب خير معوان على طاعة الله وسعادة الإنسان في دنياه وأخراه : «من أحب لقاءَ الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاءَ الله كره الله لقاءه».

«إن أثر الحب على الشاب كبير ، فهو يصفي العقل ، ويذهب الهمَّ ، ويحمل الشاب على التحلي بالفضائل المادية والاخلاقية وعلى الدقة والرقة في معاملاته ، ويبعث على حسن اللباس وطيب المطعم ، ومكارم الاخلاق ، ويعلي الهمة ، ويحمل على طيب الرائحة ، وكرم العشرة وحفظ الأدب والمروءة وهو اختبار من اشق الاختبارات ، ومعاناة من اشد المعاناة ، وهو بلاء الصالحين ، ومحنة العابدين ، وهو ميزان العقول ، وجلاء الأذهان ، وهو خُلُقُ الكرام »[2] وليس للحب الافلاطوني الذي يتردد على ألسنة الباحثين دور في الحب الاسلامي ، او ما كان قبل الاسلام وهو ما يسمى بالحب العذري . وقد شغلت ظاهرة الحب كثيرًا من المفكرين ودارسي الأدب ، لما حوى الشعر من ذكر لهم ولأخبارهم وحكاياتهم ، وهناك إجماع بينهم على اهمال البحث في احتمال وجود تأثير حضاري او فلسفي او فني وافر .

العذرية عندهم جميعاً ظاهرة عربية خالصة ، تولدت بفعل الجغرافيا والتاريخ وحدهما .

---

1 ــ الأصول الأفلاطونية «المادية» ــ د/ علي النشار وغيره ص 328 . 329 دار الكتب الجامعية الاسكندرية .

2 ــ المصدر نفسه ص 378 .

وأول من حاول تعليل الظاهرة بذلك الدكتور طه حسين[1] الذي تلمس اسبابها في عزلة الحجاز السياسية ابان العصر الامـوي، وما تؤدي اليه العزلة من يأس ثم ما صاحب هذه العزلة من إغراق مدن الحجاز في الثروات . وبذلك كانت مهداً للغزل اللاهي ، ومرتعاً للغناء والمغنين ، وما صحبها في البادية من فقر ادى الى ما يشبه الزهد ، زكاه شعور ديني يحول بينهم وبين العودة الى اخلاق الجاهلية ، فكان غزلهم العفيف هذا تعبيراً عن المثل الاعلى في الحب .

ويرى الدكتور احمد عبد الستار الجواري[2]: أن الحب العذري ظاهرة اجتماعية جديدة ، وهي وليدة التطور الاجتماعي الذي احدثه الاسلام في الحياة العربية في البادية بخاصة ، وتبدأ ببني عذرة ، ويقول : انـه فكرة شعرية يقابلها الحب الافلاطوني الصادر عن فكرة فلسفية ، فانه لا يرعى هذا الجانب في تصويره لنشأة الظاهرة مع صلاحيته لاضوائها الى حد بعيد ، ويؤيد الدكتور اثر الاسلام في الحب في الجانب الاخلاقيّ والعَقَدِيّ ، وما استحدثه الاسلام من نُظُم اجتماعية جديدة توضح العلاقة بـين الرجـل والمرأة ، وقد نظم الاسلام العلاقات الجنسية ، فأعان بذلـك على إعـلاء الغريزة ، ورفع مكانة المرأة في المجتمع ، فما عادت لإشباع الشهوة ، وتطمين الغريزة .

ويسير في نفس النهج الـدكتور محمـد غنيمي هلال[3] فهـو يرى ان الاسلام غيّر البناء الروحي للفرد ، فقد أقر الايمان بخلود الروح ، وما بعد الموت من جزاء ، وهو عكس ماكان سائداً في عصر الوثنية الذي افرز تصورَ ماديةِ الحياة ، ومن ثم الاندفاع نحو انتهاب اللذات . فالمسلم قادر على التسامي والزهد في ملذات الحياة ، كما ان المؤمن يعتقد بخلود الصـداقة

---

1 ـ حديث الاربعاء جـ 1 ص 188 وما بعدها .

2 ـ في «الحب العذري نشأته وتطوره» .

3 ـ في كتابه «الحرية العاطفية بين العذرية والصوفية» .

والحب ، فيحرص على العلاقات الظاهرة المبنية على ركيزة من التشريعات السماوية الداعية الى مقاومة النفس وجهادها جهاداً متواصلاً .

وهناك آراء اخرى تهدم نظرة الحب العذري السابقة الى انها حالة مرضية تجمع بين الانحراف الجنسي الذي يتلذذ فيه المرء بتعذيب الآخر ، وذلك بتعرضه للألم الجسدي ، وهذا ما ذهب اليه الدكتور صادق جلال العظم في كتابه في الحب والحب العذري ، معتمداً فيه على القصص المروية عن حب جميل وبثينة[1]. وهذه الحقائق اضعها امام شبابنا ليميز الحب الاسلامي بصفاته وأهدافه السامية عن سواه ، ولا يقع فريسة لما هو دخيل عليه .

---

1 ـ الحب في التراث العربي ـ د/ محمد حسن عبد الله ص 321 عالم المعرفة ـ الكويت سنة 1980 .

القسم الثالث

حرية هادفة



تمهيد

كثيرًا ما تتردَّد كلمةُ الحرية على ألسنة الناس وأكثر منهم على ألسنة الشباب ، الذين اتخذوا كلمة الحرية مبدأ للانطلاق من إسار الوالدين ـ كما يتوهمون ذلك ـ ومن ضوابط المجتمع . فالشاب يريد ان يثبت ذاتَه مستقلةً عن الضوابط الاسرية والاجتماعية ، فيحاول ان ينسلخ من كل المسؤوليات والالتزامات الاسرية وغيرها ، انه يريد الاحتكام لذاته وشهواته وطاقاته التي ركبت فيه منذ طفولته ، ولولا حرص الاسلام على تثبيت دعائم النظام فيه من خلال عباداته ، وعلى تركيز الفضائل الانسانية فيه من خلال علاقاته الأسرية والاجتماعية ـ لولا هذا الحرص ـ ما استطعنا ان نَلُمَّ شعثَ طاقات شبابنا المتبددة في اتجاهات غير سديدة .

ولذا نلاحظ ان زيادة فرص العلاقات الاجتماعية السليمة مع الشباب هي اكبر عون على تأصيل الحرية الهادفة لديه ، فهو حر في اختيار الدراسة او العمل او نوع الانتاج ، وليس حراً في تركها جميعاً ليعيش عالة على المجتمع وعلى اسرته ، وهو حر في اختيار العقيدة التي رسخت في قلبه ، ولكن بلا تزييف للحقائق في تحديد النوعية التي سيتخذها ركيزة لحديثه .

وكلما تفتحت للشاب سبل الانضباط الاسري والاجتماعي شعر بانتمائه الحتمي الى نظام وسلوك معين يسير عليه .

ومن هذا المنطلق جاءت التنظيمات الشبابية ، وشعر القائمون عليها بأهميتها لدى الشباب ، فهي تجمعات متجانسة الأفراد والرغبات على وجه

العموم ، وبها من الاعمال ما يتناسب مع قدرات الشباب ، فكانت وسيلة ناجحة في تقويم ميول الشباب ورغباتهم ، ولذا كثرت مناحيها وأعمالها ، واهتم كل تنظيم بعمل معين اتخذه طابعاً له .

وجاءت التربية الرياضية والعسكرية لتصقل الشاب صقلاً جيداً يتناسب مع فتوته وقوته وعنايته بمظهره الجسمي ، وهذا بجانب الاهداف الاخرى السامية لهذه الضوابط السليمة لحرية الشباب ، ولهذا كان اهتمام هذه الدراسة بياناً للسلوك العملي المنظم لأهدافه ورغباته من خلال هذه النقاط .

الإسلام وحرية الشباب

ان الحرية من اهم المشكلات التي خاض فيها كثير من المفكرين الاسلاميين ، وكانت هذه الحرية مقيدة بطريقة حتمية أمام عقيدة القضاء والقدر ، وترتب عليها بعض ألوان التفكير التي تحتاج الى اعادة نظر ، ولا تقره العقيدة السليمة مثل التوكل المطلق . فالشاب عندما يسير على منهج غير سديد الفهم للتوكل يقضي على حريته التي هي سرُّ نجاحه في دعم حقيقة وجوده ، وفي اعطائه حقَّ الثورة على كل ما هو باطل دون ان يترك جانباً من جوانب التغيير الخيِّر.

والتوكل المطلق نوع من السلبية، وحسر قوة الشباب ووقوفها، بل وتعطيل كل جوانب النفع في شبابنا، وأكثر من ذلك ان الذات الانسانية ومتطلباتها الفعلية تضعف وتخفت في هذه الحياة امام هذا التفكير غير الناضج . ولو وضعنا قولَ الرسولﷺ : « لو اتكلتم على الله حق اتكاله لرزقكم كما يرزق الطير» ـ موضعَ التنفيذ لَسَلِمْنَا من العثرات ، ولما وقف الشاب عاجزاً امام بعض الصعاب التي تعترض حياته عند اول وهلة ، ويستسلم ، ويكف عن التفكير بمجرد ان محاولته الاولى باءت بالفشل معتمداً على أن ما حدث هو قضاء الله وقدره .

ولو سار الشباب في العصور المتقدمة على هذا النهج ما توصلوا الى هذا التراث الجليل الذي تفخر به امم العالم اليوم ، وتعدُّه مفتاحاً للحضارة في العصر الحديث .

ان من اهم عوامل ضياع حرية الشباب وجودَ المذاهب المختلفة حول

(1) صحيح مسلم.

« القضاء والقدر » فقد ساعدت على نشر البلبلة الفكرية في التوكل المطلق الذي يثبّط العزائم والهمم ، فاذا عرضنا النصوص القرآنية وفسرناها تفسيراً سليماً يشمل ظاهر النص وباطنه ، ووضعنا هذه الدراسة امام الشباب فانهم سيسلمون من هذا الخلط في التفسير والتفكير الذي يحد من حريتهم وسلوكهم وادائهم السليم .

إنهم اليوم لا يتحملون مشاكل الجبر والاختيار التي تعرض لها العلماء ، فقد قام عبد الملك بن مروان بقتل «معبد الجهني» الذي أثار فكرة الجبر على نحو خاطيء لا يرضى عنه التشريع الإسلامي.

والحديث عن الفرق الكلامية ، وما جلبته على الاسلام من بلبلة يتطلب من المشرفين والقائمين بالامر على شبابنا ان يُعْنَوْا بتقديم ما يفيد الشباب ويحفظ عقيدتهم سليمةً من الضلال ، وقد وصلت هذه الفرق الى طريقين متناقضتين:

إحداهما : الحرية الى حد الإباحة .

ثانيتهما : الجبرية الى حد العبودية .

وكلاهما ليس من الاسلام وقد شوّه وجهَ الحقيقة الأحاديثُ الْمُخْتَلَقَةُ على الرسولﷺ ، وما زال بعضها يروّى دون احتراس من قائليها .

وفي تصوري ان ما ثبت عدم صحته عن الرسول الكريمﷺ بالدليل القاطع يجب ان يتوارى عن الأنظار ، وعن صفحات الكتب ، وعن اسماع ابنائنا مهما كان فيه من خير مزعوم . وهذا عامل آخر يحبس حرية الشاب وراء شباك من الشك ، والشك يصيب الشاب في مرحلة متقدمة من حياته ، تكاد تزلزل كيانه ، او توقفه عن نشاطه الخلاق ، ويظل يراجع ما علق بفكره ، ويقلّبه على اوجه مختلفة حتى تتلقفه أيد أمينة ، او منهج سليم يقيه عثرات الردى .

ولذا أُهيب بأولى الامر ان يسعوا جادين ـ في برامجهم التعليمية والتربوية

ـ الى وضع الحلول المناسبة للقضاء على اسباب الشك ، حتى لا يحار الشاب فيما بين يديه من افكار وسلوك تتصل بكيانه وعقيدته ، ولا يرتاب فيما هو مقبل عليه .

إن الشاب يريد اثبات ذاته من خلال حواره مع كل شيء ، وقد يصل به الأمر الى انكار كل شيء من المسلّمات ، ليبدأ من جديد ، وهذه ظاهرة صحية نحو حرية الفكر ، والكلمة ، والعقيدة ، والذات .

إن الشاب المسلم في حاجة الى دعائم يرتكز عليها في تفكيره ، وفي إبزاز الرؤية الصحيحة لما يؤمن به ، ونحن مسؤولون عن صحة تفكيره ، ونموه نمواً سلبياً بعيداً عن شوائب المذاهب والفرق الكلامية وغيرها من الآراء غير الناضجة . خاصة وأن الصراعات الفكرية اليوم بين الشباب المسلم وغير المسلم تحتدُّ في هذه المرحلة ، فاذا لم يجد الشاب المسلم بين يديه الأدلة المقنعة النابعة من عقيدة صادقة فكيف يتعامل ويناقش غير المسلمين ؟ بل كيف يقنع نفسه هو أولاً وغيره ثانياً؟! .

« لقد عُنِيَ الفكر الانسانيُّ عامةً والفكر الاسلامي خاصة بتحليل عناصر مشكلة الحرية ، فاذا ببعض المفكرين يحلل هذه العناصر الى عناصر إنسانية خالصة كالقدرة على الفعل ، والاستطاعة والطاقة الى آخره ، واذا بالبعض الآخر يحللها الى عناصر إلٰهية ـ ما ورائية بحتة ـ كالارادة الالٰهية ، ووحدة الفعل الالهي ، والعلم السابق (اللوح والقلم) الخ .

اما الفكر الديني الإسلامي فقد وفق بين هذه العناصر فصاغها في وحدة كلية ، وسارت الفلسفة الاسلامية على خطاه ، فأحلت ـ بتوافق مدهش ـ كلَّ عنصر في مكانه من النسق الكلي . . إن هذه المشكلة تنبع أساســاً من المعاناة الوجدانية داخل الذات الانسانية في تساؤل فطري عن مدى القدرة الانسانية وعلاقتها بالقدرة الالٰهية ، ومدى هذه القدرة .

واذا كان الدين يمثل وحدة فلسفية شاملة ، فانه ليس من الغريب ان يطرح حلا لهذه المشكلة . إذاً فالحل موجود في صيغته الدينية .

فالانسان حر في الفكر والعمل حريةً مرتبطةً بمعايير العقيدة غير انه تسري عليه قوانين الاحياء والجماد كما تسري عليه مبادىء عامة في العقاب والثواب وفي البعث ، وفي التكاليف »[1]. ولهذا فالشاب يتحرك منطلقاً بحرية لها أبعادها التي تقيه من العثرات ، فلا يسيء الى احد ، ولا يعتدي على حرمات غيره او ماله او عرضه ، انه لا يؤذي جاره ، ولا يفتن قومه ، ولا يشق عصا الجماعة ، انه لا يستطيع ان يلحق الاذى بنفسه فهي ليست ملكاً له ولا يستطيع التصرف فيها . كذلك ماله الذي جمعه يتصرف فيه ملتزماً قانوناً حكيماً يحكم تصرفه ، الى غير ذلك من جوانب حياته ، حريته فيها مُقَنَّنَةٌ بالتشريع السماوي الذي يدين به ، وأُلزِمَ نفسه بتحمل تبعاته ، وهناك فرق كبير بين حرية الاسلام والفوضى ، وقد استغلت الثانية باسم الأولى في المشاحنات السياسية ، وزادت الى درجة التقاتل والتناحر بين المسلمين باسم الإسلام ، والاسلام من الفوضى بريء ، وبريء من تحطيم ثروات الأمة الاسلامية ، ومن الخلافات المستعرة بينهم دون داع .

إن الاسلام دين الحرية التي تحافظ على حقوق الانسان في ان يعيش سعيداً كريماً حراً مساوياً لغيره في الحقوق والواجبات ، لا فرق لعربي على عجمي ، ولا لأبيض على اسود الا بالتقوى . فأساس التفاضل عند الله هو التقوى . اما على الارض فالناس كلهم سواسية كأسنان المشط .

« ولقد اثيرت مشكلة الحرية في الفكر الاسلامي الحديث والمعاصر اثارةً سياسيةً حينما نشب جدل عنيف بين « المسيو هانوتو » وزير خارجية فرنسا وبين الشيخ الامام محمد عبده وكان جمال الدين الافغاني قد اشار مراراًكثيرة الى اهمية العقائد في النهضة الاسلامية ، كما حاول العودة بها الى منابعها الصافية في القرآن والحديث والسنة ، غير انهما لم يجاوزا عقيدة أهل « السنة والجماعة » ، «والشيعة الإمامية » في وضعهما للصيغة العامة

---

1 ـ مشكلة الحرية في الإسلام ـ جميل . م ـ منيمنة ص 170 ـ 171 دار الكتاب ـ بيروت .

لعقيدة « القضاء والقدر »[1] وتنبع مشكلة الحرية الحديثة من عدة ابعاد هي البعد التراثي والفكري والاجتماعي ، والاخير يبحث تحت ما ندعوه بالتكليف والحدود الشرعية والشورى والعدل . وما قبله ينصبُّ في فكر واحد نابع من تمام الإيمان وهو « القضاء والقدر » المتصل بالعدل الالهي ، وهو ما ادعاه الفلاسفة بمسألة الجبر والاختيار والكسب ، وخلق الافعال ، والقدرة الإنسانية ، والارادة الالهية .

وقد امتُحن الشباب عندما عُرض عليهم الاسلام لأول مرة ، فكانت فرصة الانتهاء وحرية الاختيار نحو الاصلح والأقوم ، وكانت هذه الفرصة مرحلة انتقال ثوري في النظر في امور العقيدة ، إذ انساقوا من مرحلة التقليد لما كان عليه آباؤهم الى مرحلة البحث والتفكير السليم للدين الجديد ، فأقبلوا عليه مضحين بأرواحهم واموالهم في سبيل اعتناقهم لمعتقدهم الجديد ، دون ان يكون عليهم ضغوط سياسية ، او اقتصادية، أو اجتماعية ، بل هي الحرية ، حرية التفكير والبحث والتنقيب . « واذا كانت الحرية اليوم مقولة سياسية وفلسفية واقتصادية وقانونية ـ فان الرجوع قليلاً الى بدايتها الاولى يوضح لنا مدى ميتافيزيقيتها في شتى ألوان الفكر الإنساني .

ومما لا شك فيه ان الحرية لم تُعرف كمفهوم فلسفي وسياسي واقتصادي في الفكر العربي الاسلامي . كما تُعرف اليوم في الفكر العالمي عامة والفكر الغربي خاصة ، إذ إن معضلة الحرية قد تدرجت تدرجاً كاملاً في فكرنا العربي ، فمرت اولاً بالدور الميتافيزيقي ، وكان دوراً فاعلاً وغنياً اعطى للمشكلة أبعادًا جديدة ، ثم ركد البحث فيها وفتر في اثناء الانحطاط ، ثم انبعث مع النهضة انبعاثاً فكرياً وسياسياً واقتصادياً قوياً ، فكان البحث في الحرية الانسانية من معالم اية نهضة اجتماعية »[2]

---

1 ـ المصدر السابق ص 169 .

2 ـ المصدر نفسه ص 15 .

ان النهضة الاسلامية في عصورها المختلفة تكمن في هذه الحرية الكريمة التي أسبغها الاسلام على المسلمين ، ومازال الاسلام بكل ما فيه من قوانين ينشد للمسلم حياة كريمة ، فاذا ما ولج الشاب المسلم كوامن الاسلام ، في القرآن الكريم والسنة النبوية فانه سيعرف طريقه نحو الخير والفلاح .

وخير للأمة الاسلامية الآن والشاب المسلم في كل بقاع العالم ان ينهج نهجاً واحداً تاركاً المطامع المحلية والعنصرية والطائفية ، متحلياً بصفات الرسول الكريم ، وهي خير مثال يُحتْذى، ولا خلاف حولها ، ومتمسكاً بالاتجاه الاصوب نحو دائرة النور الكبرى.. نور المعرفة والحق مع باقي الشباب المسلمين ، حتى يتجمعوا في نهاية الامر على وحدة كبرى بعيدة عن الاضطرابات الفكرية والمذهبية التي ما زالت تفتِّت وحدة المسلمين ، وما زال غير المسلمين يأتوننا منها ، وما زال شبابنا يحملون القرار نحو إبراز الوحدة الفكرية من مفهوم الحرية في الاسلام .

ان هذا ما نهدف اليه في مرحلة نحن أحوج ما نكون فيها الى رأب الصدع ، وجمع الشمل وتوحيد الصفوف ، ونزع الضغائن بين المسلمين عامة ، ولولا ما لدى الشباب من حرية فكرية في إرساء دعائم الوحدة وغيرها ما رجونا منهم شيئاً ففاقد الشيء لا يعطيه .

ولقد دعت كثير من آيات الله الى حرية الفكر ، وسورةُ «الكافرون» أقربُ مثال على حرية اعتناق العقيدة ، وفي الشات على ما يرتئيه الانسان من خير أو شر حسب اتجاهه وتفكيره (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ *). إن الله سبحانه قد هدى الانسان ويسر له طريقيْ الخير والشر ، ليختار بملء ارادته الطريق الذي يميل اليه ، ولولا هذا ما كان الثواب والعقاب . قال الله تعالى :(وَهَدَيْنَاهُ ٱلنَّجْدَيْنِ *)فلم تقيد الدعوة الاسلامية الشباب على التصديق الجازم دون تفكير فيما هو مقدم عليه ، بل طلبت آياتٌ عديدةٌ

(1) سورة النصر الآية: 6. (1) سورة البلد الآية: 10.

النظرَ في ملكوت الله سبحانه وتعالى : في السماء والأرض والبحار والجبال والانهار ، وفي الليل والنهار ، والشمس والقمر ، وفي انفسنا ، وفي كل شيء يقع تحت حسه وفكره ، فيؤمن عن عقيدة صادقة ، وقلب واع لحقيقة ما هو مقدم عليه .

إن حرية المسلم في التفكير هي التي جعلته يبقى على دينه مهما أُرغم على تركه بصنوف العذاب . والدعوة الاسلامية تخاطب عقول الراشدين ، وتطلعهم على فطرة الدين وسماحته ، وقربه من كيان الإنسان ، وامتزاجه بفؤاده فهو عنصر مكمل لبناء الانسان ، ولا يرقى إلا به ، ولا يسعد في إطاره الشخصي والجماعي الا عليه .

ولهذا يلاحظ أن الالتزام بالاسلام ، كما وضحت ، ليس آتيا الا من قبيل حرية الفكر البشري في الاختيار .

ويكفي ان يعلم الشباب ان الاسلام لم ينتشر بحد السيف بل بالاقناع وحرية الرأي وسموه فوق كل تشريع . وهذا هو سر كمونه في كل خلجة من خلجات المسلمين ، وتثبيته مع كل خفقة من خفقات قلوبهم .

تنظيمات الشباب المحلية

أهم مايسترعى نظر الباحث في هذا الموضوع هو دور الاستعمار مع تنظيمات الشباب في فترة الاحتلال . لأن خطر مرحلة الشباب يعرف كنهها كلُّ مستغل ، وأنواع الاستغلال كفيلة بتفتيت اي قوة بما تحمله من أفانين مختلفة ، وخبرات واسعة في مجال الاستعمار ، والمستعمر يستخدم العلم في إحباط كل مقومات الاخلاق والدين عند الشباب . والشاب دون سواه هـو مركز اهتمام المستعمر لأنه يتوقع المقاومة منه ، والحرب منه اكثر من سواه ، فهو يعلم ان الشباب ثورة جامحة ، وقوة فعالة في تسيير حركة الامة ، فاذا أضيف الى الشباب عقيدة اسلامية قويمة كانت قوته أعظم ، وخطره أشد.

ولذا لجأ المستعمِرُ الى عدة طرق فعّالة في تحطيم قوة الشباب اهمها :

أولاً :

توزيع قدرات الشباب فيما لا يفيد ، وذلك بخلق تجمعات منظمة من الشباب تحمل شعارات متباينة لمقاومة الاستعمار ظاهراً ، والحقيقة المُرَّةُ ان كلَّ تجمع او منظمة كانت تهتم بالدرجة الكبرى بالقضاء على المنظمة الاخرى ، سعياً وراء زعامة موهومة للأمة ، فهذا الزعيم ليس أفضل من ذاك ، وان شعارات هذه المنظمة ليست بأقل فعالية من غيرها. وقد لاحظنا كثرة المنظمات و الاحزاب مع وجود الاستعمار في غالب الاحيان .

ففي مصر ـ مثلاً ـ عندما احتلها المستعمِرُ سنة 1882 بدأت جماعة من الشباب المسلمين في خلق منظمة لمقاومة الاستعمار، فسارع المستعمِرُ إلى إيجاد

جماعات اخرى لنفس الغرض ، ولكنها تسعى جاهدة لإحباط كل مقاومة ناجحة ضد الاستعمار ، ويتم ذلك بالنقد والتجريح ، وغير ذلك من أساليب الاحزاب التي كانت تستخدم السلاح لضرب المواطنين أمثالهم لا لضرب الاستعمار .

وهذه صورة من منظمات الشباب المصرية في هذه الفترة وهي :

1 ـ أصحاب القمصان الزرق .
2 ـ أصحاب القمصان الخضر .
3 ـ شباب مصر الفتاة .
4 ـ البوليس الخاص .
5 ـ تنظيمات عباس حليم العمالية .
6 ـ اخوان الحرية . . . وغيرها . . .

«وقد اهتمت كل هذه التنظيمات المصنوعة بالملابس والقمصان الملونة ، وبالطبول والطوابير ، ولم تهتم اطلاقاً بتفهم احتياجات البلاد ومطالبها ، وحاول المستعْمِرُ من خلال هذه التنظيمات الزائفة ان يغرس الأفكار الخاطئة والمنحرفة في رؤوس الشباب ، واقحم الطلاب في السياسة الحزبية ، وفي التناحر الحزبي فقد كان بين صفوف الطلبة لجانٌ وثيقةُ الاتصال بالاحزاب تروج لسياستها ، وتمدها بالعون المادي والتأييد المعنوي .

وكان ينشأ عن ذلك أن يتجمع المتذمرون من سياسة حزب من الاحزاب ليقفوا ضد الفريق الآخر ، مما أدى الى إضعاف التكوين الوطني والاخلاقي للشباب .

وبهذا كانت حركات الشباب في مصر أداة لخلق الولاء للرجعية والحزبية بدلاً من ان تكون اداة لخلق جيل صالح ، وأصبح الشباب ضائعاً تائهاً وراء الاهداف والشعارات الزائفة التي غُرِّرَ بها.

واستطاع المستعمِرُ بأساليبه الملتوية ان يزعزع الثقة بين الحكومة والشعب ، وان يملأ النفوس بالاحقاد والضغائن مستغلاً هذه التنظيمات الزائفة يريد ان يقضيَ بذلك على كل حافز قومي تتجاوب اصداؤه في نفوس الشباب ، ومستغلاً فرصةَ قلة القيادات الصالحة الواعية التي تعمل على جمع شتات افراد الامة »[1] .

ثانيًا : ـ إفساد أخلاق الشباب المسلم :

لقد نجح الاستعمار في طعن الشباب طعنةً قويةً إبان فترة وجوده ، وليس الاستعمار فحسب بل اعداء الاسلام في كل بلاد العالم أسهمت في خلق تيار الفساد ، وذلك بانتشار اساليب الرذيلة بإباحة الدعارة ، وبيع الخمور ، وانتشار القمار ، والترخيص لكل هذه الموبقات ، فاصبحت بيوت الدعارة منتشرة في كل مكان تحت حماية القانون الوضعي ، وانتشرت المقاهي والبارات يحتسي الشباب فيها الخمر ، وتُسلب اموالُهم على موائد القمار .

ولم يتوقف هذا السم الزعاف على العاصمة ، او المدن الكبرى فقط ، بل انتشر حتى وصل الى اعماق الريف ، ليهتك حجاب الفضيلة ، ويقتل فيه ما تبقّى من حياء الايمان . تَمَّ كلُّ هذا بطريق عملي حتى فتَّ في عضد الشباب أوكاد ، وانحرف منهم من انحرف فساء خلقهم ، وضل سعيهم ، وتاه منهم طريقُ الجادة والصواب .

كما نجح المستعمِرُ وأعوانُه ـ بوسائل الاعلام المختلفة ـ في تشويه الحقائق ، وعرض الرذيلة ، والافكار السامة عن طريق الصحف والمجلات والاذاعات المختلفة .

إن اساليب التمدن والحضارة دفعتنا الى شراء هذه الاجهزة الحديثة ،

---

1 ـ الشباب . ماضيه . حاضره . مستقبله ـ عادل طاهر ص 22 مكتبة الانجلو المصرية 165 ـ القاهرة .

والتعرف على ما بها من برامج موجهة أو محلية منافية لأخلاقنا وديننا ، نشاهدها ويشاهدها معنا ابناؤنا ، ويسأل الشاب المسلم نفسه واهله وأصدقاءه : أين الإسلام من هذا؟

واين نحن من الاسلام ؟

ان هناك تضارباً بين ما نعلّمه لأبنائنا من فضائل وتعاليم اسلامية ، ومثل اخلاقية وبين ما يشاهده ويسمعه ويقرؤه كل يوم .

وهذا التضارب يدفع بهم الى وجود صراع نفسي شديد وفي النهاية الى اي طريق يسير هذا الشاب المسلم ؟

ثالثاً : دعوة السفور وآثارها :

لقد نمت دعوة المرأة الى ترك الحجاب في عهد الاستعمار ، واستُغِلتْ هذه الدعوة استغلالاً سيئاً فهي لم تقف عند الحدود المسموح بها شرعاً ، بل عُمِّمتْ بشكل قبيح وبذيء ، وتركت المرأةُ مع الحجاب الحياءَ والأخلاقَ جانباً ، وسعت قدماً نحو تحقيق اكبر تقدم تحصل عليه من بيوت الازياء العالمية ، او قل بيوت الفساد العالمية ، وهي متخصصة في ابراز مفاتن المرأة ، والإلقاء بالشرف والفضيلة جانباً ـ كما يزعمون ـ فهي ليست من مميزات العصر الحديث ، وتبارت النساء في كسب رضا الذوق الحديث ، وترتب على هذا الوباء الخطير ضياع الكرامة والشرف ، وعزوف الشباب عن الزواج فرغباته بين يديه ، بيد إهماله لأمر دينه ، ووقوعه فريسة لهذا التيار الجارف في كل مكان ، في البيت والمعهد والمعمل والشارع ، الى أين يهرب ؟ ومن يقاوم ؟ والى متى تظل مقاومته متماسكة فعّالة ؟ وهل يستطيع ان يسبح وحده ضد التيار حتى الموت؟ ! !

اننا نقدم للشاب الملابسَ المستحدثة ، ولأخته ملابسَ ليست خليقة بكليهما ، فهي متشابهة مشتركة في الجرم ، فلا تقل مفاتن ملابس الشباب عنها عند النساء ، فكلها داعية الى الفجور .

إن وسائل الاعلام يقع عليها عبء كبير في تسرب هذه السموم الى شبابنا .

لعلنا نتذكر موقف الرسولﷺ وكراهيته للصور كرهاً كبيراً ، فاذا كان قد عزف عن مجرد رؤية صورة مرةً واحدةً فما بالنا ونحن نتابعها ليل نهار دون انقطاع . ان تأثير الصور على الشباب من الجنسين خاصة المتحرك منها لا يقل فعالية عن تحرك الاجسام البشرية بثقلها وفتنتها ، واذا ارتفعت قوة التأثير الى ان تصبح الصورة المتحركة بألوانها الزاهية مجالاً لضياع اوقاتنا ، فهل هناك من مقاومة تخفف هذا الداء المستشرى في اوصال الامة الاسلامية ؟ وهل نستطيع ان نحصل على هذا الوقت الضائع في معصية الله لنجنده في طاعة الله ، والإقبال على اعمالنا ودراساتنا حتى نستعيد مجد الامة الاسلامية ؟ انني لا افقد الامل في الشباب فما زلت ارى وأسمع وأقرأ-ايضاً - ما يُقْدِمُ عليه الشباب اليوم من محاولات صادقة للبحث عن علاج ، وهذه المحاولات لا بد ان يسهم فيها اولو الامر في جميع القطاعات التربوية ، ولا بد ان توجد القدوة الحسنة ، والتبصرة الجيدة للإسهام في رفع كلمة الله ، وانقاذ الشباب بل الامة من الضياع .

وأُقدِّم صورةً مصغرةً لأثر الاستعمار بعد احتلاله مصر عام 1882 توضح قدرته الفائقة على تغيير مجريات الفكر الاسلامي في عقول شبابنا وشيوخنا ومثقفينا ، بل وعلمائنا ومجاهدينا .

حدث هذا في « صالون نازلي فاضل »[1] بمصر ، فقد كان صالونها ابرز الأندية في أوائل القرن الحالي ، وكان مقصوراً على عدد قليل من النوابغ ، وأعظم رواده محمد المويلي ، ومحمد بيرم ، ومصطفى فهمي ،

---

1 ـ يراجع مجلة المشير 1898/6/16 ـ القاهرة . ومذكرات قليني فهمي باشا والشرق في فجر اليقظة لأنور الجندي ـ القاهرة .

ويطرس غالي ، وابراهيم اللقاني ، والدكتور صروف .

وقد برز صالون نازلي عقب الاحتلال في مقرها بشارع جامع عابدين بالقاهرة الى ان توفيت في نهاية عام 1913 . وكانت اخبارهـا ذات اهمية في الصحف ، ويرجع هذا الاهتمام الى ان والدها مصطفى فاضل باشا ، كان رئيسَ حزب الاحرار في تركيا وقد قرن اسمه بالدستور العثماني ، وأخي الخديوي اسماعيل ، وقد تزوجت الاميرة من « خليل أبي حاجب » احد علماء وأثرياء تونس ، وكانت معارضة للسلطان عبد الحميد ، وموالية للنفوذ البريطاني ، والى كرومر بالذات ، وكان على بعض الروايات يزورها ويحضر اجتماعـاتها ، وكانت كما قال كاتب آخر ، ملتقى الكبراء وقادة الـرأي ، وفي قصرهـا تُحل عـظائمْ الامور ، وتُعقـد مسائـلُ الاصلاح الاجتماعي ، وتُنثر طرائفُ الآداب والعلوم .

وقد اشار تلميذ الشيخ محمد عبده الشيخ مصطفى عبد الرازق الى أثر الاميرة في حياة الشيخ محمد عبده فقال : إنه أثر من ثلاثة وجوه :

أولاً : أسلوبه الكتابي فانا نلمح في أسلوب الاستاذ في العهد الاخير ميلاً الى الدعابة والخفة ، كما في الفصول التي كتبها في مجلة المنار عن سياحاته .

ثانياً : إلمامه بكتابة موضوعات لم يكن من قبل لِيَعْرِضَ لها مثل كلامه عن الرسوم والتماثيل محبذاً لها مخالفاً لتعاليم الاسلام .

ثالثاً : نشأ الاستاذ على عداوة انجلترا التي شهد تشريدَها لأستاذه جمال الدين ، واحباطها لمساعيه الاصلاحية ، وله فصول ضد بريطانيا تتأجج ناراً نشر كثيراًمنها في مجلة العروة الوثقى التي اصدرها في باريس.

أما بعد اتصال الشيخ بالاميرة ، وكانت صديقة اللورد كرومر فقد تلاشت عداوة الشيخ من صدره ، واصبح يجهر في كتاباته ودروسه بأن

بريطانيا احسن الدول استعماراً وهذا كلام عجيب ، فهل بين المستعمِرين اي تفاضل ؟

قال الشيخ مصطفى : إن الشيخ كان يجمع بين حبها وإجلالها ، وكان يشعر بنشاط روحه ، واستعلاء ذوقه ، ويحس بالراحة في قصرها ، وكان لها اثرها في سن الشيخوخة .

وهاجمت الصحف نازلي فاضل لانهاأقامت مأدبة عشاء للورد كتشنر الانجليزي في ديسمبر سنة 1910 ، ومن هذه الصحف جريدة العلم والحزب الوطني .

وأشار جرنفيل في كتابه «مصر الحديثة» إلى ان ندواتها يحضرها محمد عبده، وعبد الكريم سليمان، وعلي يوسف، ومصطفى فهمي، وسعد زغلول، وقاسم أمين.

كما قال : ان كتاب تحرير المرأة كتب في هذا الصالون . وان الدكتور فارس نمر صاحب جريدة المقطم من الموالين لها .

وقال : انها كانت الشخصية التي افاءت ظلها على حركة جمال الدين وأظهرت عطفها على اولئك الشبان المجاهدين .

وقد حدث في هذه الاثناء ان ظهر كتاب لدوق داركور يطعن فيه على المصريين طعناً مرًّا ، ويخص النساء باكبر قسط منه ، إذْ رماهن بالجهل ، وضعف مكانتهن في المجتمع ، فأهاج ذلك الشاب المسلم قاسم امين ، وتطوع بالرد على كتابه .

قال الدكتور فارس نمر : وهنا نصرح بحقيقة لا يكاد يعلمها الا ندرة في مصر ، هذه الحقيقة ان كتاب قاسم امين الذي رد فيه على دوق داركور لم يكن في صف النهضة النسائية التي كانت تمثلها الاميرة نازلي فاضل ، بل كان الكتاب يتناول الرد على مطاعن المؤلف الفرنسي ، ويرفع

من شأن الحجاب ، ويعده دليلاً على كمال المرأة ويندد بالداعيات الى السفور واشتراك المرأة في الاعمال العامة ، ولما ظهر كتابه ساء ما به اخوانه امثال محمد المويلحي ، ومحمد بيرم ، وسعد زغلول ، ورأوا فيه تعريضاً جارحاً بالاميرة نازلي ، وتشاوروا فيما بينهم في الرد عليه ، واتفقوا اخيراً ان اتولى الكتابة «أي فارس نمر» عن هذا المؤلَّف وعرض فصوله ، وانتقاد ما جاء فيه خاصاً بالمرأة ، وبدأت في كتابة سلسلة مقالات عنه ، ولكن ذلك النقد لم يرق قضاة محكمة الاستئناف ، ورأوا فيه مساساً بهيبتهم ، إذ إن قاسم أمين كان احدهم ، ورأوا ان افضل وسيلة يبذلونها لكي اكفَّ عن الكتابة ان يرجوَ احدهم الاميرة نازلي فاضل لكي تطلب إليَّ ذلك . وتطوع الشيخ محمد عبده للقيام بهذه المهمة ، وذات مساء حضرت الى صالون الاميرة كما حضر الشيخ محمد عبده ومحمد بيرم والمويلحي ، وبعد قليل تحدث الشيخ محمد عبده في هذا الشأن مع الاميرة فالتفتتْ إليَّ سموُّها وقالت : انها لا تجد بأساً في ان اكف عن الكتابة في الموضوع ، وكانت هي لم تقرأ الكتاب ولم تعرف انه يشمل الطعن فيما تدعو اليه ، فلما رأى ذلك محمد المويلحي قال لسموها . انه يدهش من طلب الاميرة ، وخاصة الكتاب يعرض لها ، فبدت الدهشة عليها ، وكانت احدى نسخ الكتاب موجودة عندها ، وعبثاً حاولت ان اقفل باب الحديث في هذا الشأن ، وخاصة بعد ان لمحت عليها معالم الاضطراب والجد والعنف فلما اطلعت على ماجاء به ثارت ثورةً شديدة ، ووجهت القول بعنف الى الشيخ محمد عبده لأنه توسط في الموضوع .

ومرت الايام ، واتفق محمد عبده وسعد زغلول والمويلحي وغيرهم على ان يتقدم قاسم امين بالاعتذار الى سمو الاميرة فقبلت اعتذاره ، ثم أخذ يتردد على صالونها ، وكلما مرت الايام ازدادت في عينه ، وارتفع مقامها لديه ، واذا به يضع كتابه الاول عن تحرير المرأة الذي كان الفضل فيه للأميرة نازلي فاضل ، والذي اقام الدنيا واقعدها بعد ان كان اكثر الناس

دعوة للحجاب . ولكن الاميرة نازلي فاضل لم تكن موضع تقدير كل الصحف ، ولم يكن الرأي فيها سلبياً على الاجماع . بل لقد كشفت صحف الحزب الوطني عن بعض ما نسب اليها في مجال الحركة الوطنية في مصر . ومن اقوالها : ان الشاب المصري لا يساوي ثمن الحبل الذي يشنق به ، وانه لا بد من وصي يدير شؤون المصريين ، وان الانكليز هم خير وصيٍّ حتى يرد الامانة الى اهلها ، وبجانب هذا فدستورها على ما يبدو لي هو المال يحركها الى اي اتجاه ، وهذا ما حدث فقد تغير عداؤها للسلطان عبد الحميد بعد زيارتها له الى ولاء واشادة ومدح به وبحكمه ، لأن جواهره لها أنساها كلَّ شيء ؛ كتاب والدها ضده ، وولاءها للانجليز.

واذا علمنا ان صالونها كان ملتقى كل زائر لمصر من الاعيان والادباء والسياسيين يزورونها لاستطلاع رأيها . والتعرف بها ، فانها تستطيع ان تنفث مبادئها ، وافكارها كما تشاء وتهوى ، خاصة وانها تملك دَفَّةَ الحديث بسحر حديثها وجمالها .

ويلاحظ ان هذه الصورة لمنتدى نازلي فاضل تكشف عن سطوة الاستعمار ، وتسلطه على زعماء الامة وشبابها ومن هذا نرى ان دفة الارادة والتفكير والسياسة في المجتمع المصري وقتذاك كان بيد الاستعمار واعوانه يصرِّفها كيفما شاء .

تنظيمات الشباب الدولية

يلاحظ المتتبع لحركة تنظيمات الشباب الدولية انها لا تقتصر على علاج جانب دون آخر للنهوض بالشباب والرقي به والانتفاع بقدراته الخلاقة ، وقد سعت المنظمات المتعاونة مع هيئة الامم المتحدة الى تهيئة الجو المناسب لايجاد شباب متكامل ، وهي في قراراتها لم تخرج عما اعده التشريع الاسلامي لايجاد الشاب النموذجي الذي يجمع بين خيريْ الدنيا والآخرة ، وهذه المنظمات هي اليونسكو ، المجلس الدولي للرياضة والتربية البدنية ، والهيئة الدولية للخدمات الجامعية ، والمجلس الدولي للصحة والتربية البدنية والترويح ، وتكاد تشترك في اهداف عامة واحدة اهمها : المحافظة على السلام ، والأمن بتشجيع التعاون بين الدول عن طريق التربية والتعليم والعلوم والثقافة والتكوين الجسمي والعقلي والروحي .

وتشترك في نفس الاهداف المنظمات العالمية للشباب ، وهي تضم الاتحاد العالمي للشباب الديمقراطي ، واتحاد الطلاب العالمي، ومنظمة الشباب العلمية ، ومؤتمر الطلبة الدولي .

ونقدم نموذجاً لأهداف احداها وهي الاتحاد العالمي للشباب الديمقراطي . لنلاحظ التباين بين الاهداف الاستعمارية السابقة ، والاهداف الحرة الباحثة عن السلام والمحبة والخير وهي :

١ـ تطوير وتنمية التعاون الدولي بين جميع المنظمات الدولية والاهلية في

العالم ، وذلك لمواجهة مشاكل الشباب المشتركة .

2ـ العمل في الميادين التربوية والثقافية والنشاط الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لتحقيق ما يلي :

أ ـ تربية الشباب على أسس من الحرية والديمقراطية لرفع مستوى معيشتهم لإنهاء الاستعمار ولضمان السلام والامن في العالم ، وخاصة بمساندة كل مجهود يبذل من الحكومات والمجتمع في هذا الاتجاه .

ب ـ دفع الشباب للعمل في الميدان الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي .

3ـ مناهضة كل القيود ، والتفرقة التي تتصل بالسن والجنس او طريقة التربية ، وكذلك التفرقة في الملكية والأحوال الاجتماعية و العقائد الدينية و السياسية ، كل هذا لكي يضمن الشباب في مختلف البلاد حرية الرأي وحرية الصحافة والدين والاجتماعات .

4ـ مساندة رغبات الشباب من اجل حياة افضل في نطاق التربية والعمل واوقات الفراغ ، ومن اجل تنمية النشاط الثقافي والتربوي والرياضي لديهم جميعاً .

5ـ العمل على تطوير روح السلام والصداقة الدولية مستنداً على المبادىء النبيلة لميثاق الامم المتحدة .

6ـ معاونة الشباب في مصالحهم ، وعلى جذب الرأي العام العالمي نحوهم ، وتوجيههم لحل مشاكلهم »[1] .

ونلاحظ اليوم مدى اهتمام هذه الهيئات بالشباب بغض النظر عن

---

1 ـ الشباب ماضيه ـ حاضره ـ مستقبلة ص 552 ـ 553 ويراجع به أهداف الهيئات والمنظمات والقرارات والأعمال التي انجزت من أجل الشباب في العالم في العصر الحديث .

عقيدته الدينية ، فهم يلتقون جميعاً تحت راية الشبان لا يفصلهم مذهب او اتجاه ديني او حزبي .

وما احرانا ان يكون لنا ـ نحن المسلمين ـ تجمعاتٌ شبابية تقوم بدورها في تكوين الشاب المسلم تكويناً دينياً سليماً ، ولا تكون هذه التجمعات محلية بل عالمية ، ويكون دستورها القرآن ، وهدفها خلق الشاب المؤمن على نهج الرسول الكريم ، وبهذا نحمي شبابنا من انحرافات الشباب الذي لا خَلاَقَ له ، بجانب هذا اذا سافر الى اي قطر فانه يجد الجو المناسب لتربيته الاسلامية ، واداء فرائضه دون مشقة ولا عناء ، بل يجد الاستعداد الكامل لمساعدته على نشر دعوته بين اخوانه في ربوع العالم ، وهذا يساعد الشاب المسلم على السياحة التي دعاه الله اليها في كتابه العزيز . فيقوى ايمانه بالعلم والمعرفة لآيات الله في الكون ، ويكون داعيةً لدين الله ، ومثالا يحتذَى بين الشباب ، وهذا ما يفتقده شبابنا المسلمون اليوم .

وعندما تعم بيوت الشبان المسلمين في انحاء العالم ، ويكون طابعها هو الطابع الاسلامي ، وتفتح ابوابها للمسلمين وغير المسلمين ، فانها بذلك تمهد لايجاد الروح الإسلامي والطابع الاسلامي عند المترددين عليها ، فنظم بيوت الشباب ولوائحها شرط جوهري لقبول الاعضاء بها ، وبذلك تتاح الفرصة للشبان غير المسلمين معاشرة الشبان المسلمين عن كثب ، فيتعرفون على سلوكهم وخُلُقِهِم الحميدِ الذي يتمتعون به . وهذا المشروع خدمة عامة لنشر الاسلام لا لكسب المال ، وهو يحتاج الى شيء من التضحية من مسلمي العالم في بداية الامر ، ولكن عوائد المشروع الروحية والانسانية والخلقية اكبر من ان تقدر بالمال الوفير . حبذا لو نشَّطت بيوت الشبان المسلمين الرحلات السياحية بين بعضها حتى تتم الوحدة الاسلامية على أوسع نطاق ، وحتى تعالج مشاكل المسلمين في بقاع العالم عن قرب ، وحتى يشعر العالم بقيمة هذه الوحدة الاسلامية . وهذا النشاط الاسلامي الاجتماعي قد خبا عندنا دون سوانا من ذوي

الديانات الاخرى وذلك لقلة مبالاتنا بأهمية هذا المرفق الحيوي الهام « ان الدين الاسلامي اكثر ارتباطاً بحياة المسلم العملية ، واكثر ميلاً الى التدفق في الميدان الاجتماعي ، واذا كان هناك من المذاهب الدينية ما لا يتسم بهذه الصبغة العملية في حياة المتدين ، لأنه يجعل من صاحبه منطوياً مؤثراً للعزلة والتأمل على الانتشار في الحياة العملية ، فان الدين الاسلامي لا يقف بالعقيدة عند الحد الذي يتصل بالالهيات والوصايا الخلقية فحسب ، بل يتجاوز ذلك الى التشريع المنظم لكل العلاقات الانسانية في المجتمع الإسلامي، ولا يشك احد ممن يعرفون حقيقة الاسلام في ان المعنى الاجتماعي واضح في شعائره ، وكل محاولة لتجاهل رسالة الاسلام الاجتماعية وقصره على الجانب الروحي ، انما وجدت سبيلَها الى الفكر الاسلامي في عصور الانحطاط .

وبالتأمل في التعريفات الغربية للدين نجدها في مجموعها تقف برسالة الدين عند علاقة الانسان بربه ، ومع انها لا يدركها حصر دقيق فان جوهرها الحقيقي يصور ان الدين هو الرباط الذي يصل الانسان بالله .

وقوام حقيقة شعورنا بالحاجة والتبعية المطلقة ، والايمان بقوة لا يمكن تصور نهايتها الزمانية والمكانية »[1] واذا كان الجانب الاجتماعي في الدين الاسلامي اساساً في حياة الامة الاسلامية فأولى بنا ان ننمِّي هذا الجانب ، وان ننشر ديننا من خلال هذا السلوك الاجتماعي الذي كان سبباً في نشر الاسلام الى اليوم .

« فالجانب العملي الذي يدير حياة الناس شقٌّ أساسي من تعريف المسلمين للدين ، وهكذا ادت الشريعة دورها في مناقشة العلل الاجتماعية ، والعمل على علاجها ، والخلاص من المشكلات الاقتصادية والوقاية من العِلل والمشكلات المتوقعة ، وتوجيه المسلمين الى ما فيه

---

1 ـ الفكر الديني في مواجهة العصر د/ عفت محمد الشرقاوي ص 98 ط 2 .

استمرار التطور نحو الكمال ، وفي ذلك يقول الشيخ محمد عبده : «ولقد نص الكتاب على ان دين الله في جميع الازمان هـو إفراده بـالربـوبية والاستسلام له وحده بالعبودية ، وطاعته فيما امر به ، ونهى عنه مما هو مصلحة للبشر ، وعماد لسعادتهم في الدنيا والآخرة »[1] .

إن تطور الشباب المسلمين نحو الكمـال يتم في جمعه بـين العقيدة الصادقة والسلوك المثالي ، وباتحادهما في نفس الشاب وسلوكه تكون النواة الجماعية الممتازة التي تُعَدُّ رائدة للتطور البشري الهابط .

واحياء هذا النموذج داخل المنظمات في انحاء العالم تُعَدُّ إحياءً للتراث الاسلامي ، وروح الاسلام ، ونظمه ، واخلاقياته .

إنها تبعات شبابنا ، وواجبهم نحو دينهم واخوانهم في ربوع العالم ، فهم في حاجة ماسة الى مائدة التعارف والتعاون المثمر البناء ، يلتفون حولها ، ويقوِّمون عوجَها.

---

1 ـ نفس المصدر ص 101

التربية العسكرية للشباب

التدريب على القتال كان قبل الاسلام ركيزة كبرى في حياة القبائل ، فالقبيلة تعتمد على سواعد فتيانها عندما يغيرون او يغار عليهم ، ولذا كان الشاب منذ نعومة اظفاره يتدرب على القتال ، ليحميَ نفسه وأسرته وقبيلته من الأخطار المحدقة بها ، وهو يسير وسيفه معه ، او سلاحه معه ، يعرف كيف يستخدمه دون تردُّد ، وكذلك باقي متطلبات الفروسية الكاملة .

ولهذا نلاحظ ان الشباب كانت رياضتهم حربية وقتذاك فهم قد تعلموا القنص والرمي بجميع الاسلحة ، فجمعوا بها بين الفتوة والقوة ، وبين الاعداد الحربي ، ومقاومة الاخطار ، فهم لا يتحركون ولا ينامون دون ان يكون سلاحهم في متناول ايديهم .

ثم جاء الاسلام ، وعرفته العرب بدعوته الى السلام والحب والوفاء والصفح والغفران ، وبدعوته ايضاً الى التدرب على القتال ، فقد امرهم الرسول الكريم بأن يعلِّموا اولادهم الرماية و السباحة وركوب الخيل .

وجاء الامر بالقتال ليدافعوا عن دينهم واموالهم وانفسهم ، فلم يتباطأ الشباب وسواهم عن حمل السلاح ، بل طلبوا الاشتراك في الغزوات والسرايا وهم دون المستوى في اعمارهم وتكوينهم الجسمي ، وان كانوا فوق المستوى في شجاعتهم وتمرُّسهم على القتال . اننا لن ننسى اسامة بن زيد ، وعلي بن ابي طالب ، وعامر بن عبيدة ، وعبد الله بن عمر ،

وبلالاً ، ومصعب بن عمير ، وغيرهم من الشباب كثير تحرَّقوا شوقاً للقتال لنصرة دين الله .

إننا نعرفهم جيداً ، ويحمل لهم التاريخ الصفحات المجيدة في البطولات والانتصارات الحربية العديدة ، فقد رفعوا راية الاسلام خفاقة فوق ارض اعظم قوتين في العالم وقتذاك وهما دولتا فارس والروم .

إن الشبان المسلمين يضعون أرواحهم على أكفهم يقدمونها في سبيل الله ، وهم يعلمون ان الفوز العظيم هو مبتغاهم سواء أكان الاستشهاد او الفوز على الاعداء . ان عشرين غزوة ، ومئة سرية كفيلة بصقل الشاب المسلم و إعداده إعدادًا ممتازاً ، فقد تمت هذه المعارك في حضرة الرسول الاعظم محمدﷺ في اقل من عشر سنوات . وتُعَدُّ هذه الفترة مرحلة تأسيس وتأكيد وتعليم خاضها شباب المسلمين ، والمرأة المسلمة ايضاً ، وخرجوا منها بصفات البطولة والشجاعة و الخبرة الحربية التي مكنت الشباب بعد ذلك من تولي القيادة الحربية ، وانتزاع النصر بعد وفاة الرسول الكريمﷺ .

وتُعَدُّ الوصايا والدروس العملية في فنون القتال ـ التي خلفها الرسول وصحبه ـ ركيزةً علميةً حربيةً لجميع العصور ، فقد شملت اسس الاعداد المادي والنفسي ، وكل التوقعات الحربية المحتملة من جانب العدو ، ولم تغفل دراسة ارضه وجوِّه وطباع اهله ، كما شملت العناية بالجندي المحارب ، وتوفير الراحة والمسكن المناسب ، والخطة المحكمة للحصول على النصر بأقل خسارة ممكنة .

ونحن اليوم نهتم بتربية الشباب تربيةً عسكريةً في جميع قطاعات عملهم بالمعاهد والجامعات وغيرها . حتى نحصل على شاب يدافع عن دينه وعرضه وماله ووطنه وامته الاسلامية ، فالعدو يتربص بنا في كل آن ، وما زلنا في حاجة الى المزيد من شباب الاسلام ذوي التربية الحربية

المتطورة والملائمة لهذا العصر . لكن التدريب العسكري وحده لا يكفي مهما ارتفع مستوى التدريب ، ومهما طالت مدته ، وتمكن الشباب منه ، فاننا نلاحظ ان شبابنا ينقصه شيء هام جداً حتى يفيد بكل هذه التدريبات ، وهو ان يربط الشاب بين دينه وتدريبه ، ويتم ذلك عندما يقبل على التدريب بوحي من عقيدته وما يدعوه اليه الله ورسوله ، وعندما يأتي الى المعسكر متطوعاً ابتغاء مرضاة الله وعندما يشعر ان عقيدته ودينه وماله ونفسه واهله ووطنه وامته يلحون عليه ـ ليل نهار ـ ان يتدرب على القتال ، ويدافع عن هذه القيم حتى الموت ، ويقاتل عنها حتى يستشهد أو ينتصر على اعداء اللّه.

ويلاحظ ان شبابنا لم يصل بعدُ الى هذه المرحلة السامية من التربية ، وفي تصوري ان حصول الامة الاسلامية على جيش من هذا النوع كفيل ان يقضي على اعداء الاسلام ، وان يعيد للامة الاسلامية هيبتها ومكانتها العريقة .

ونأمل من اولى الأمر في امتنا الاسلامية وضع هذه الحقائق نصب اعينهم ، ونحن في حاجة الى تربية الشباب تربية عسكرية دائماً فهي تؤتى ثمارها في وقتيْ السلم والحرب ، اما في الحرب فأمرها واضح كما عر ضنا وأما في وقت السلم فان التربية العسكرية تخلق عند الشاب الكثير من الخصال الحميدة مثل الطاعة في خدمة الاسلام ، وفي تنفيذ اوامر الله تعالى ، ومثل النظام الذي يَعَدُّ صفة مميزة في التعاليم الاسلامية و التشريع الاسلامي بل وفي اركان الاسلام كلها ، وفي المعاملات الاجتماعية والاسرة ، فهي منبثقة من قوانين محددة رسمها الشرع الاسلامي .

ومثل الحيوية والنشاط وهما من سمات المؤمن اذ العجز والجبن والخور والتواكل كلها بعيدة عن الشاب المسلم ، ولا يرضى بها الإسلام فقد دعا الرسولﷺ الى تركها والتماس القوة في الحياة حتى يقاوم كلَّ هذه

الصفات الذميمة فقال : « المؤمنُ القويُّ خيرٌ وأحبُّ الى الله من المؤمنِ الضعيفِ وفي كل خير » .

وقال تعالى: (... وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ...)[1] وقصص الانبياء في القرآن الكريم تفيض علينا بأهداف سامية ، اهمها ان الاعمال المثمرة المشفوعة بالنية الطاهرة كفيلة بالحصول على نتاج جيد ، وان القوة والشجاعة في الحق تحقق ما هو صعب المنال ، وان الالتجاء الى الله في وقت الحصاد ـ بعد الجهاد الطويل ـ هو الإيمان الحق كما حدث مع عيسى وموسى وسليمان ويوسف وغيرهم من رسل الله عليهم السلام. وما سيرة محمد ﷺ عنا ببعيدة: (مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ...)[2].

وقد دعا الله سبحانه عباده للعمل والسعي الدائب والجهاد من اجل البقاء في قوله سبحانه: (... فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ *)[3] وفي تصحيح معنى التوكل في اذهان المسلمين وهو بعيد عن التواكل والكسل يقول الرسول الكريم : « لو اتكلتم على الله حق اتكاله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً ، وتروح بطاناً » فالطير تنشط في الصباح الباكر طلباً للرزق ، والله سبحانه يهيىء لها الرزق حتي تعيش ، وكذلك المؤمن يخرج مبكراً للصلاة والعمل مجاهداً في حيوية ونشاط حتى يرزقه الله الخير .

والحديث يدعو المؤمن الى القيام بدوره الايجابي في هذه الحياة مستخدماً في ذلك كلَّ ما وهبه الله من قوة بدنية وذهنية وعلمية حسب متطلبات عمله ، ويترك النتائج لله سبحانه ، وهي مثمرة ان شاء الله تعالى كما وعدنا الرسول في هذا الحديث .

ومن النشاط الدائب تمثله لقول الرسول ﷺ : «كلُّكم راع ، وكلُّ راع مسؤول عن رعيته»[4] والراعي الحكيم الواعي اليقظ النشط يكفل السعادة والاطمئنان لرعيته.

(1) سورة الطلاق الآية: 3.
(2) سورة النساء الآية: 80.
(3) سورة الملك الاية: 15.
(4) صحيح مسلم.

فالتربيةُ العسكرية هي تربيةُ بدنيةُ وعقليةُ وروحيةُ وعقائديةُ وليست هناك اعلى من منزلة من يقدِّم روحه في سبيل اللّه، ويتحرك ويعمل دائمًا في طاعة اللّه، قال تعالى: (إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ) إن الشاب المجاهد يكون انقى قلباً ، وأصفى روحاً ، وأخلص عملاً ، واكثر مدداً للمسلمين . ان استعداده الدائم للتضحية يفوت الفرصة على اي تكتل عدواني يريد الانقضاض على المسلمين ، ويضع في نفوس الاعداء الخور والخوف ، وليست هناك قوة تخيف الاعداء أقوى من قوة الايمان في قلوب الشباب ، انها تؤلِّف خطراً كبيراً عندهم ، ويضعون في حسبانهم دائماً كيف يواجهونها ، ويحطمونها عند اول بادرة تبدو لهم من تفكك او ضعف في جانب الامة الاسلامية «ومن الملاحظ ان الجهاد في سبيل الحرية هو الطابع الغالب على الفكر العربي المعاصر ايا كان لونه ، وهو اول ما يستوقف النظر في انتاج الادباء المحدثين»[1]. «ولقد واكبت حركة التفسير النهضة الادبية في هذه النزعة الالتزامية ، وعاشت مراحلها ، وادى المفسرون دورهم السياسي كما فعل الادباء ، واستطاعوا ان يجدوا في القرآن آياتٍ تبعث في الناس حميةَ الكفاح من اجل الحق والعدل»[2]

---

1 ـ قشور ولباب ـ زكي نجيب محمود ص 148 .

2 ـ التفكير الديني في مواجهة العصر ص 107 .

(3) سورة التوبة الآية: 111.

القسم الرابع

العلاقات الخاصة والعامة للشباب



تؤكد الدراسات الانسانيةُ الحديثةُ ان المعاملاتِ الاسلاميةَ للشباب هي الاصوب ، كما انها تتسم بالدقة ، وشدة الحرص على ان تكـون هـذه المعاملات مصدر خير وبركة لإنماء الشباب إنماءً حسنا في اطار تشريع سماوي يكفل لهم حيوية وتفاعلاً مع مجتمعهم المسلم وغيره ، وبهـذه القوانين السماوية تكتمل النظرة الشمولية للشاب الذي يحسن التعامل معه في افضل احواله واكملها ، كما ان هذه القوانين تصبح مظلة واقية للشاب من الانحراف ، وتأخذ بيده حتى يثوب الى رشده ، وترفع عنه الولاية ، ويصبح حرَّ التصرف في ماله ، وفي معاملاته وعلاقاته.

ان الشاب مهما تفتحت آفاقه نحو اعباء الحياة ومسؤولياتها يظل تحت مراقبة دقيقة حانية من والديه حتى يصلبَ عودُه، ويكتمل نضجه، وتستقر أموره، وتتفتح عقليته، ويرشد تفكيره، عندئذ نسلم له القياد، ويصبح راعيَ الأمة، والمسؤول عنها وعن حمايتها.

وسنورد هنا دراسة عن المعاملات الاسلامية والشباب ، وعن الولاية الاسلامية عليهم ، ومعاملة الشباب لنظرائهم من غير المسلمين .

ونختم هذا القسمَ بعرض بعض المزاعم الباطلة ضد الشباب نحاول ان نفندها ، ونثبت بطلانها .

المعاملات الإسلامية والشباب

قبل البدء في عرض المعاملات الاسلامية للشباب نود ان نتعرف على الشباب وما بهم من استعدادات فطرية لتقبل الاحكام والتشريعات الاسلامية التي يترتب عليها حياة الكون وفناؤه وسعادة الانسان وشقاؤه ولعلنا نتذكر قصة بدء الخلق في القرآن الكريم ، فهي تعطينا الكثير من الاسس الكامنة في الانسان ، والتي بها يعمر الكون . قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * ﴾ الآيات إلى قوله سبحانه : ﴿... أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * ﴾[1] .

ومتى يكون الانسان خليفة ؟

ان ذلك يتم عندما يكتمل عقله وينضج ويصبح مُعَدًّا لتحمل المسؤولية المادية والمعنوية والفكرية ، أي عندما يصير شاباً يافعاً ناهضاً ، فالشاب هو خليفة الله في الارض ، والخلافة - كما هو معلوم - هي الإنابة الكاملة في تنفيذ مشيئة الله واوامره ونواهيه ، وفي وضع الاسس السليمة لخلق مجتمع سليم ، وفي انابته عنه سبحانه في التعرف عليه من خلال صفاته ومخلوقاته وفي بذر الخير ، ونزع الشقاق ، وفي تأصيل الصفات الحميدة بين العباد ، وهذا العطاء الكبير لا يمكن ان يصدر عن انسان خالٍ من ادوات

---

1 - سورة البقرة الآيات من 30 - 39 .

الخلافة لله سبحانه وتعالى ، وخلافةُ الله أجلُّ واعظم من اي خلافة اخرى بشرية ، والعناية الإلهية تزود الانسان بالقدر المناسب لتحمل الخلافة في عالم جديد هُيىء للانسان تهيئة كاملة لحياته ومعيشته وصفاته وتكوينه ، ولذلك قال سبحانه وتعالى في بيان ربط الانسان بخالقه وبالأرض :(...**فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُّوحِنَا**...)[1]ولهذا كانت مكانة الإنسان بين عوالم الأرض هي العليا ، وتحمله تبعات المسؤولية خطير وعظيم ، وأشارت الآية الكريمة إلى ذلك في قوله سبحانه: (**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً** *)[2].وتبدو منزلة خلق الانسان وتحمله المسؤولية والخلافة في طلب الله ــ سبحانه ــ من الملائكة السجودَ لهذا المخلوق العجيب، فاستجابت لطلبه الا إبليس أَبَي واستكبر وكان من الكافرين. وكانت مكانة هذا الإنسان المفضل على سواه هي الجنة قال تعالى: (**وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَٰذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ** *)[3]. حياة ناعمة رغدة لا عوج فيها ولا نصب، ولا ضلال ولا إضلال إلا عندما يتبع شهواته وينسى عهده مع اللّه فينزل إلى الدنيا ليصارع الإنسان شهواته فيغلبها أو تغلبه، فينزلق تارة، ويفيق تارة أخرى، قال سبحانه: (**وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا** *)[4]،وقال تعالى: (...**وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ**...)[5].

ان الصراع والعداء متلازمان ، والصراع هو سر من اسرار بقاء ميزان العدل في الارض ، وهو سر من اسرار التفوق والرقي في جميع مجالات الحياة ، وهو سمة من سمات الشباب القادرين على اثبات طموحاتهم جيلاً بعد جيل قال تعالى: (.. **وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ** *)[6]، والحياة لا تستقر

---

1 ــ سورة التحريم من الآية 12 .
2 ــ سورة الأحزاب آية 72 .
3 ــ سورة البقرة آية 35 .
4 ــ سورة طه آية 115 .
5 ــ سورة البقرة من الآية 36 .
6 ــ سورة البقرة آية 251 .

على فوهة بركان، بل جانبُ الهدوء والاستقرار قائمٌ معها أيضًا قال تعالى:
(...وَلَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ *)[1] فاذا أُقيم الحكم السوي جاء الاستقرار، وانتشرت السعادة بين الناس، ولكنها ليست أبدية بل الى حين يعلمه الله حتى تعود الكرَّة مرة أخرى.

فالشاب المسلم جمع كل هذه الخصائص العقلية والفكرية والنفسية والجسدية الْمُهَيَّأَةِ تهيئةً كاملة ليكون خليفة الله في الارض.

وجاء التشريع الاسلامي موضحاً للشباب طرائقهم في الخلافة فلم يترك لهم جانباً من جوانب الحياة الاجتماعية وغيرها الا ووضع امامهم الاحتمالات الممكن حدوثها في هذه المرحلة، ووضع لها العلاج المناسب حتى يستقيم امر الشباب.

ولنبدأ بالتحديد الزمني لهذه المرحلة، وهي ما يطلق عليها سن الرشد، وخلاصة ما توصل اليه الباحثون من علماء المسلمين انها تُحَدُّ باطار عقلاني وزمني.

أما الاول فهو الا يتصف بالجنون والعته والسفه والغفلة.

أما الثاني فهو بلوغه ثماني عشرة سنة تقريباً، وان كان هناك رأي الصاحبين يستند على ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما، قال: «عُرضت على رسول الله ﷺ يوم أُحُد وانا ابن اربع عشرة سنة فلم يجزني، وعُرضت عليه يوم الخندق وانا ابن خمس عشرة سنة فأجازني»[2].

وعلى هذا يكون الرسول قد اجاز انضمامه للجندية في هذه السن. ويبدو ـ والله اعلم ـ ان الامر غيرمقصورعلى السن فقط، بل يشمل الصحة والنمو البدني والعقلي في مثل هذه الأمور، اما في نطاق زمرة الشباب عامة، والبيئات الكثيرة المتفاوتة، فان مثل هذه السن ليست بملزمة للانخراط في الجندية. فالحديث كما نلاحظ هو العرض من ابن عمر على

1 ـ سورة الأعراف من الآية 24
(2) صحيح مسلم. العلاقات الخاصة والعامة لشباب.

الرسول ، والرسول ينظر بمقياس حيوية الشباب واندفاعه للتضحية بحياته في سبيل نصرة الاسلام ولا بد من ان تكون مواصفات الجندي المقاتل قد ظهرت ونمت عند ابن عمر وسواه من ابناء الصحابة و اخوتهم مثل عمير ابن ابي وقاص قال سعد اخوه : « فعُرض على رسول الله فاستصغره فقال له ارجع ، فبكى عمير فأجازه رسول الله ﷺ ، قال فكان سعد يقول كنت اعقد له حمائل سيفه ، وقتل ببدر وهو ابن ست عشرة سنة »[1] ، ولو كان الامر على غير هذه النظرة لكان الرسول قد دفع به الى الهلاك ، وهذا مردود ، وعلى هذا فنمو ابن عمر الجسماني والعقلاني ـ كما حدثتنا كتب السيرة عنه ـ يدل على رجاحة وتفوق في الادراك الفكري والبدني .

ولو كان الطلب من الحاكم لجمع الجند لكان الحكم غير ذلك ، ولذا نرى في تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى: (وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اَلْيَتِيمِ اِلاَّ بِاَلَّتِي هِيَ اَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ اَشُدَّهُ..)[3] أي اشد الصبي ان يبلغ ثماني عشرة سنة ، وسار على هذا الكثير من الفقهاء ، وهو الراجح من مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه ، ولا بد من تقدير طموحات الشباب في هذه السن المبكرة ، كما انه لا بد من رعايته والعناية به ، والتعرف على سلوكه العملي بكل دقة ، ووزنها بميزان العقل وحسن التصرف ، حتى يقبل على الحياة ، ونحن في اطمئنان على تحمله تبعة التصرف ، فهذه ركيزة المعاملات مع غيره .

---

1 ـ يراجع الأحوال الشخصية ـ محمد ابو زهرة ـ دار الفكر العربي . وكتاب : المسلمون والعلم الحديث ص 67 عبد الرزاق نوفل ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت .

(3) سورة الإسراء الآية: 34.

الولاية الإسلامية على الشباب

يلاحظ ان الولاية في الأصل مقصورة على الطفل حتى يبلغ ويرشد ، وقد تمتد الولاية الى مرحلة الشباب ، فتراها تثبت على المجنون والمعتوه ، وعلى البكر من النساء والثيب ان كانت غير مأمونة على نفسها [1]

وهذا يدل على ان الشرع ينظر الى الشاب من جميع زواياه ، فالبكر من النساء ما زالت تجربتها بالحياة وبالمجتمع غير كاملة ، خاصة ما بها من حياء يصدها ، فهي في حاجة الى ارشاد وتوجيه ، ولذلك جعل زواجها متعلقاً بموافقة والدها او وليها : « البكر يزوجها ابوها » بخلاف الثيب ، فهي تتولى شؤونها الخاصة والعامة بنفسها ، والحكمة هنا تكمن في قوة الادراك والتبصر بالامور الدنيوية النافع منها والضار .

أما الثيب فلها تجربة سابقة بالحياة خارج بيتها ، ومع غيرها من افراد المجتمع ، ولذا بعدت عنها الولاية مثل الشاب العاقل الصحيح ، اما اذا كانت غير مأمونة على نفسها بأن كانت فاتنة الجمال ، ويخشى عليها اذا عاشت بلا والٍ فانها في حاجة الى من يصونها ويدافع عنها شرَّ نفسها ، وشر غيرها .

وعندما نستعرض شروط الوالي الذي له حق الضم نجد ان الشرع يحرص على ان يكون الوالي متحداً في دينه مع دين من يتولى رعايته واصلاح شأنه ، كما يجب ان يتمتع بالبلوغ والعقل والقدرة على الصيانة ، وهذه تحتاج الى الشخصية الناضجة المتفتحة التي تستطيع العطاء

---

1 ـ يراجع ذلك بالتفصيل في كتاب الأحوال الشخصية ـ محمد أبو زهرة ص 576 .

والرعاية ، وهي بالتالي تحتاج الى ادراك شؤون الحيـاة ، وخبرتهـا عن كثب ، ويجب ان يكون الولي أميناً على من يتولى شؤونه غير مضيع ولا مفسد له ، ولهذا اذا انتفت الرعاية الحسنة من الاب سقطت ولايته على اولاده ، فالاب السفيه لا يزوج بناته ، ومثله الاب المضيع لنفسه بخمر او موبقات فان ولايته تسقط عن اولاده .

فالمطلوب الحصول على النشأة السليمة لجيل جديد يتولى رعاية اسرة جديدة ، وهذا لا يتمثل في الراعي الفاسد . وقضى التشريع الحكيم بسلب الولاية من الاب عند ارتكابه للجرائم مهما كان نوعها .

وقد حرص الاسلام على وجود الوالي الكَفيِّ ، وخص به الابَ اولاً ثم الجدَّ الصحيح ، فهو ينزل منزلة الاب في توافر الحرص والشفقة ، وحسن الرعاية للابناء ، فاذا بلغ الرشد وهو عاقل سقطت الولاية ، فاذا نقـص العقل او اختل عادت الولاية على الشاب . وهذا يرشدنا الى ان الوالد او الولي يكون دائم الاطلاع على اخبار من كانوا تحت وصايته دون التدخل في امورهم الا اذا اقتضى الامر ذلك ، ويكون برفق وقدر يسير حتى اذا عاد الرشد والافاقة لمن تحت يده عاد للشاب امر نفسه ، فالولي ليس لـه مطلق التصـرف في المعاملة بينـه وبـين القـاصـر لسبب من الاسباب ، وولايته ليست عامة في كل الاحوال .

معاملة الشباب سواهم من غير المسلمين

يعتري الشبابَ اليوم مشكلةٌ هامةلا بدأن نطلع على جذورها ونتعرف على أحكامها حتى نتدارك ما يمكن ان نقع فيه من أخطاء، ان هذه المشكلة قائمة في اختلاط الشاب المسلم مع غيره من ذوي الديانات الأخرى.

فما هي الأسس التي يسير عليها الشاب المسلم في معاملاته؟ لعلنا نلتمسها في قول الله سبحانه وتعالى: (أُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ..)[1]. وقوله: (لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)[2]. وقوله: (وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلاَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ *)[3]، وقوله سبحانه: (لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ...)[4]، وقوله جل شأنه: (... ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ *)[5].

تكمن في هذه الآيات أسس المعاملة الحسنة التي يجب ان يتحلّى بها المسلمون في معاملاتهم، وهي تشير الى أن المسلم يتحلى بلسان عفٌ

1 ـ سورة النحل من الآية 125 .
2 ـ سورة الممتحنة آية 8 ـ 9 .
3 ـ سورة العنكبوت آية 64 .
4 ـ سورة البقرة من الآية 256 .
5 ـ سورة فصلت من الآية 34 .

بليـغ ، يتصف بحلاوة المنـطق ، والذوق الجميـل والموعـظة الحسنة ، والجدال المثمر النافع لأداء حقِّ الله والعباد ، ويتحلَّى أيضـاً بسماحـة الاسلام ، وعدم الاعتداء الا اذا كان هناك مبرِّر من مـظاهرتهم لنـا بالعداء ، ولا يجب ان نكرههم على تبديل دينهم ، فقد تبيَّن الرشد من الغي . فالشابُّ المسلم هو عنوان الاسلام ، والمقولة الجيدة الحسنة خيرُ رسولٍ في الاسلام ، هذا بجانب المعاملة والسلوك الطيب الذي يبرهن للناس كافة على ان الاسلام قول وعمل ، وقد اشارت الآيات الى الالتزام بالمعاملة الحسنة في مثل قوله تعالى ـ أيضًا : (وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ *)[1] .

ان هذا علوٌّ في قدر إنسانية الاسلام ، وتساميه ، فهو للناس كافة ، ومن أجـل علو شأن النـاس جميعاً ، والمعـاملة الانسانيـة هي معـاملة اسلامية لا جدال في ذلك ، ولا أدل عليها من ارتضاء غير المسلمين أن يعامَلوا بما يعامَل به المسلمون في قانون الاحوال الشخصية المستمَدِّ من التشريع الاسلامي ، وهذه شهادة عملية منهم بأن هذا الدين هو أسمى الاديان قاطبة ، وانه بعيـد عن الزيـغ والضلال الـذي نال من دينهم وعقيـدتهم ومعامـلاتهم ، والله سبحانـه يطلب ان نـوفي لهم عهـودهم والتزاماتهم التي ارتبطنا بها ، وأخذنا عليها الميثاق. قال تعالى: (... وَأَوْفُوا بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا)[2]، وقال سبحانه : (وَأَوْفُوا بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُوا ٱلْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا...)[3]، وقال سبحانه : (إِلَّا ٱلَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ

1 ـ سورة التوبة آية 6 .

2 ـ سورة الاسراء من الآية 34 .

3 ـ سورة النحل من الآية 91 .

يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ اَحَدًا فَاَتِمُّوٓا اِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ اِلَى مُدَّتِهِمْ اِنَّ اللّٰهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾[1].

كما نهى الرسول - ﷺ - عن ظلم المعاهد او الانتقاص منه او تكليفه فوق طاقته ، فقال : « من ظلم معاهداً أو انتقصه ، او كلفه فوق طاقته او أخذ منه شيئاً بغير طيب نفس ، فأنا حجيجه يوم القيامة » . كما أمر الرسول الكريم اصحابه الا يجبروا أحداً من ذوي الديانات الاخرى على ترك دينه ، أو فتنته في دينه ، وعليهم بأخذ الجزية منهم إن كانت عليهم ، والمحافظة على أموالهم وأعراضهم ، واقرارهم على ما هم عليه من ديانات مختلفة .

ويكفي ما عليه المسلمون من سلوك طيب وقول حسن حتى يكونوا خير إعلام للاسلام والمسلمين دون رياء ولا نفاق بل هي الحقيقة الصادقة الكفيلة بأن تغريَ غير المسلمين بالدخول في دين الله افواجاً ، وقد قضى الصحابة الخلفاء في أثناء حكمهم بما انزل اللّٰه ، واتَّبعوا هذا الاسلوب الحنيف في فتوحاتهم مع أهل البلاد .

ان الحديث عن أهل الذمة شغل كتباً عديدة ، كلها متفقة على حسن المعاملة معهم من حيث المبدأ . ولعلنا نتذكر تسامح الاسلام في المعاهدات التي تمت مع الرسول الكريم نذكر منها صلح الحديبية ، وما حدث من استنكار عمر بن الخطاب له -حسب رؤيته الخاصة- وقد وفَّى الرسول بعهده لهم وسلمهم « أبا جندل بن سهيل » عندما هرب منهم الى الرسول الكريم .

وقال له الرسول : «اصبر واحتسب فان الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، انا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك ، واعطونا عهد الله ، وانا لا نغدر بهم ، وفعل مثل

---

1 - سورة التوبة آية 4 .

ذلك مع أبي بصير عتبة بن أسيد »[1] وغير ذلك كثير مع اسرى بدر ، ومع أهل مكة بعد الفتح عندما قال لهم : «ماذا تظنون أني فاعل بكم ؟ قالوا خيراً أخ كريم وابن أخ كريم فقال : اذهبوا فانتم الطلقاء لا تثريب عليكم يغفر الله لي ولكم».

ما أجملَ معاملةَ الرسول الكريم لأهل الكتاب عندما يغشى مجالسَهم ويواسيهم ، ويتعامل معهم معاملات متعددة : اقتصادية وانسانية واجتماعية ، فقد اقترض منهم ، ورهن عندهم ، واشترى منهم ولم يكن ذلك عن قلةِ ذاتِ اليدِ بين المسلمين ، بل إبتغاءَ نشر تعاليم الدين الحنيف بين المسلمين ، فهي أمور تشريعية ، وعلى المسلمين ان يسيروا على نهجها دون وجل ، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه قادراً على الصلاة داخل كنيسة القيامة بعد فتح بيت المقدس وتسلّمه ، ولكنه رفض ، وصلى على درجة خارج الكنيسة منفرداً دون جماعة ، وكتب للمسلمين كتاباً يوصيهم فيه ألا يصلوا على الدرجة التي صلى عليها الا واحداً واحداً غير مؤذنين للصلاة وغير مجتمعين[2] . وكتب السيرة مليئة بصور ومشاهد تدل على سماحة الاسلام مع الناس جميعاً .

ونحن نوجه شبابنا الى هذه السماحة ليتسلحوا بها في حياتهم العملية مع غير المسلمين، خاصة وأن طرق المواصلات جعلت العالمَ قطراً صغيراً يرتاده المرء وقتما يشاء بجهد قليل ونفع كبير ، والمسلمون اليوم وبخاصة شبابنا هم اكثر نشاطاً وحركة في الالتحام الثقافي والفكري والعلمي مع دول الشرق والغرب، والشبان المسلمون يمثلون الاسلام خير تمثيل اذا التزموا بالاسس الاسلامية ـ كما وضحت ـ وهذا كفيل بإرجاع الصورة

---

1 ـ سيرة ابن هشام 376/3 ـ 372 .

2 ـ الطبري جـ 167/4 . تراجع سماحة الإسلام في سيرة ابن هشام . فتوح الشام للبلاذري البصري . فتوح البلدان للبلاذري . انتشار الإسلام . وفتوح مصر لابن عبد الحكيم . أهل الذمة في الإسلام لتريتون ترجمة د/ حسن حبش .

الصادقة لعهد الرسول وصحبه التي كانت تعتمد على الخلق العظيم، وأهم الشروط لتحقيق هذا الخلق هي: « رفض الوصولية بجميع صورها ، ولفظ الشهرة بكل مستلزماتها ، ونبذ المكانة الاجتماعية التي لا تقوم إلا على معيار النجاح الماديِّ الصرف ، ولسنا نعني بذلك انه لا أهمية على الاطلاق لحكم الآخرين ، أو أنه لا قيمةَ البتةَ للصورة التي يعكسها لنا الوسط الاجتماعي عن شخصنا بل كل ما نعنيه هو أن النجاح الحقيقي لا يمكن ان يقاس بأمثال هذه الأحكام الجماعية التي قد لا تخلو من نـزق او سطحية أو تهافت ، وحينما يتقبـل الانسان بعض المعـاني الجاهـزة من المجتمع الذي يعيش في كنفه ، او البيئة التي يحيا بين ظهرانيها فـانه سرعان ما ينظر الى نفسه بعيون الآخرين ، دون أن يدريَ ان الأصوات التي تصفق له اليوم ، قد تعود فتصفر له غداً والحق ان وفاء الإنسان للقيم ، وإخلاصه لنفسه بوصفـه صاحبَ رسـالة ، انمـا هما المعياران الوحيدان للنجاح الحقيقيِّ الذي طالما احرزه عظماء البشرية ، ان لم يكن في حياتهم فبعد مماتهم ، وليس من شك في أن الأصالة الحقيقية لا يمكن ان تقاس بمعيار النجاح والفشل ، فضلاً عن أنها لا يمكن ان تقنع بأحكام الناس القائمة على نظام الاشياء ، فليس من الغرابة في شيء أن نراها احياناً تزيد من بعد المسافة التي تفصلها عن الواقع الاجتماعي الراهن» [1] وهذا عنوان الاسلام ورسالة الاسلام دائماً .

1 ـ تغلب على الخوف ـ سيجموند فرويد وآخرون ص 40 ـ 41 بيروت .

مزاعم وأباطيل

إن الحكم على التشريع الإسلاميّ من خلال بعض المسلمين في أثناء فترة زمنية جاهلة يُعَدُّ إجحافاً للتشريع الاسلامي ، فالاسلام ليس مسؤولاً عن التطبيق الخاطىء له ، وليس مسؤولاً ايضاً على ما يترتب على هذا التطبيق ، وقد لاحظت ذلك من خلال حديث للدكتور مصطفى حجازي في كتابه « التخلف الاجتماعي » فهو يرى أن أوجه القهر ووسائله تتلخص في استلابات ثلاثة :

الاستلاب الاقتصادي : وينحصر في تبخيس دور المرأة في مجال العمل والانتاج ، وبالتالي لا يقبل وضعها الاقتصادي إلا في الاماكن الثانوية ، وان الفتاة منذ صغرها الى اكتمال عمرها ليست نظيراً للرجل ، بل هي دائماً أقل منه ، وهذه النظرة ليست هي النظرة الاسلامية الصحيحة ، ويبدو ان الدكتور يتحدث عن الفتاة خلال فترة زمنية سابقة كان التدهور الاجتماعي ، والتخلف الاقتصادي ، وقلة الوعي الديني هو الرائد .

وتنحصر في قلة المبالاة للفتاة من حيث التعليم والتثقيف واخذها لمكانتها القيادية ، او مكانتها الانتاجية التي تتفوق فيها على الرجل . وإذا كانت هذه النظرة السالفة قضت على كثير من امكانات المرأة ، وأصيبت بالخمول والضياع لكل ما حباها الله به من ذكاء وقدرة على الانتاج فان المرأة ليست هي المسؤولة ، ولا الدين مسؤولا عن ذلك ، بل هو التخلف العام للمجتمع ، وقصور نظرية التربية الاسلامية عند الآباء ، وبالعودة

الى حظيرة الاسلام ستختفي كلُّ مظاهر القهر للفتاة في البيت والمجتمع ، وتتمتع بذاتها ومدركاتها الخلاقة في مكانها المناسب لفطرتها ، وتكوينها وعملها وثقافتها .

ان الفتاة في مجال الممارسة العملية مع الفتى اثبتت انها نِدٌّ لهُ وكفء في حصولها على مركز قويم ، ونتاج سليم .

ان تكوين الفتاة ليس بأقل قدرة على العمل من الفتى، ويشهد على ذلك ما عليه الفتاة اليوم من تقدم.

وتكلم الدكتور مصطفى حجازي عن الاستلاب الجنسي ، ويرى انه وصل الى درجة صارخة أشدمن الاستلاب الاقتصادي ، فقد وضع المرأةَ موضع الأمَةِ في تصويره لحالتها الجنسية مع الرجل ، وأوضح المعضلة الاولى التي تتعرض لها الفتاة عند الزواج ، فتهددها رغباتها الذاتية ، فهي في قلق على قدرات جسدها في استحواذها على الرجل ، وفي قلق على غشاء البكارة وسلامته ، والنظر اليها على انها مركز للجنس فقط ، ويضرب حولها الحصار على جسدها منذ طفولتها حتى النهاية ، ويتحدث على خوف الأسرة عليها ، ووضعها تحت قيود اجتماعية من حيث الملبس والمظهر ، فجسدها عورة يجب ان يستر ويصان .

كما تحدث عن تَمَلُّكِ أبيها لها وهي في بيته ، ومثل ذلك مع زوجها ، ويستشهد برأي الدكتور عباس مكي في أن جسد المرأة كان وما يزال مادة غنية للتشريع من حيث تحديدُ المسموح وغيره من تحركات الجسد وتعبيراته ومتطلباته ، ويخرج بنتيجة ان القوانين وسيلة الرجل وسلاحه لامتلاك جسد المرأة والسيطرة على كيانها بالتالي وان اقسى درجات السيطرة تتم من خلال الجسد والحكم به فيقول: « عندما يفلت الجسد ويعبِّر عن طاقاته ورغباته بحرية ، يفلت الإنسان من التسلط والقهر ، ولذلك فالمرأة حين تتمرد فانها تفعل ذلك أساساً من خلال اعطاء نفسها حريةَ التصرف بجسدها جنسياً في المقام الأول »[1] . فالرجل يمتلكها بعد اختزال كيانها

---

1 ـ التخلف الاجتماعي . د/ مصطفى حجازي ص 330 ـ 331 معهد الانماء العربي ـ فرع لبنان .

ضمن حدود جسمها في اغلب الاحيان ، والمرأة ضحية في البداية ، وضحية ـ ايضاً ـ عندما يفكر الرجل في غيرها ويرميها بالبرود الجنسي ، والمرأة دائماً ملامة ، وتكون النتيجة اصابتها بالجمود الجنسي بعيداً عن الحياة ، فقد تحولت الى مصدر للانجاب ، وكيان يضحي بحياته في سبيل تربية اولاده ، والمرأة في النهاية تكون مصدر ضياع لرجولة ابنائها دون وعي منها نتيجة ما أُصيبت به من زوجها .

ولنا مع الدكتورين حجازي ومكي وقفةٌ قصيرةٌ نعرض فيها حقائقَ غابت عنهما في الاسرة الاسلامية ، وهي تبدأ كما قلنا في حديثنا عن الزواج : ان المرأة لا تُقبِل على الزواج الا برضاها ، وان لها الحق في طلب الطلاق من الرجل اذا وجدت به عيباً يضر بها . وأعطاها التشريع الاسلاميُّ وسائلَ عديدةً تحمي بها نفسها ، منها ـ بالاضافة الى ما سبق ـ ان المرأة المسلمة ذات عاطفة واحساس جنسي مثل الرجل ، وأنها تتمتع بدور الامومة مثل الرجل في دور الابوة ، وان الجنس عندهما لذة ومتعة مطلوبة من كليهما ، وأن كل عائق من كلا الطرفين يبيح الطلاق . وان العلاقة الجنسية ليست بهيمية بالدرجة الاولى ، كما انها ليست كلَّ شيء في حياتهما ، فمشاكل الحياة وطبيعة الجسم البشري كفيلة بتقنين هذه العلاقة ، وان محاولة الاشباع قدرَ الطاقة مطلوب حتى لا تكون هناك فرصة للخيانة الزوجية ، وان الاستلاب الجسديَّ للمرأة في بيت الاب والزوج ليس كما صوره الدكتور ، بل ان القوانين التشريعية لحماية جسد المرأة ليس الهدف منها استلاب جسد المرأة ، بل الهدّف منها حماية المرأة والمحافظة عليها من عدوان خارجي طارىء يؤذيها ، ويأتي بنتيجة سيئة ، قال تعالى : ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذٰلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ.. الخ﴾[1] فالتشريع الإسلامي هو حفاظ للاسرة والمجتمع ، وليس استلاباً يحطم ويجلب انفعالات

1 ـ سورة النور الآيتان 30 ـ 31 .

مرضية تضر بالأسرة وبالابناء . انها نظرة خطيرة مجافية للصواب ازاء تشريعنا الاسلامي ، ولا أدل على ذلك من محاولة عقد مقارنة بين امرأتين تعيشان في مجتمعين؛ احدهما اسلامي متمسك بالتعاليم والتشريع الاسلامي ، والآخر منحل لا قيود له ولا قوانين ، اننا اذا تتبعنا حياة كلتا المرأتين العاطفية والزوجية والاسرية فسنجد بينهما فرقاً شاسعاً . فما يسميه الدكتور قيوداً وحواجز واستلاباً للجسد وتحويلاً له للانجاب فحسب ، هذه الصورة القاتمة - بالرغم من اختلاف المسميات - هي خيرٌ الف مرة من هذه الأسرة التي فقدت المرأة فيها هذه التحفظات وبحثت عن أهوائها ونزواتها دون وازع . ان هذه المرأة لن تفكر في طهارة نسلها ، ولا في اقامة دعائم بيت سليم ، ولا مجتمع سليم ، انها ستحطم كل ما يحاول المجتمع المتقدم رفع دعائمه في ايجاد حياة اسرية سليمة . فهي على عكس ما عليه المرأة الاخرى المحاطة برعايات تحفظ عليها امنها واستقرارها وراحتها .

يقول الدكتور : « ومن النتائج المرضية لوضعية القمع - كل مظاهر الاستعراض المسرحي كل الهتاك - اي اللذة الجنسية من خلال الاستعراض الذي تبديه المرأة ، ذلك انه عندما تحرم حق امتلاك جسدها ، والقدرة على التعبير ، فانها لا بد أن تلجأ الى التعبير المرضي ، فجذوة الحياة في الجسد لا تموت مهما اشتد القمع بل تتسرب في مسارب غير سليمة ، وغير سوية ، مسارب تقود الى اضطراب العلاقة بين الرجل والمرأة لا محالة .

من خلال الهتاك تتحول المرأة الى كائن نرجسيٍّ يستعرض جسده كمظهر ، كوسيلة للحصول على الاعجاب ، وانتزاع الشهوة ، ولكنها تقف عند هذا الحد عاجزة عن المتعة ، وحارمة إياها الرجل في آن معاً »[1]

أما حديث الدكتور عن الاستلاب العقائدي فهو اخطر من سابقيه اذ جعل العقيدة عند الفتاة تطلب منها ان تقر بأمور : هي أن تتقبل مكانتها

---

1 ـ نفس المصدر ص 332 - 333.

ووضعية القهر التي تعاني منها ، وعليها ان ترضى بها وتكيِّفَ وجودها بحسبها دون تغيير ، واي تغيير يعتبر خروجاً على الكرامة والشرف . وان تعتقد بتفوق الرجل وسيطرته عليها ، وتبعيتها له ، وانها كائن قاصر جاهل ثرثار عاطفي لا يستطيع مجابهةَ اي وضعية بشيء من الجدية والمسؤولية ، وان عالمها هو البيت ، وانها ام وخادم فحسب ، وان جسدها عورة « وبأن هذه العورة يجب ان تستر من خلال الاب والاخ والزوج وابن بعدهما ، وان الشرف بالنسبة اليها هو في الحفاظ على هذه السترة ، ومن الاستلاب العقائدي هو تبني اسطورة حواء بضعفها واحتيالها ومكرها ، وغيها ، حواء مجسدة الآثام والشرور ومصدر كل غواية »[1] . حواء التي تشرف سعادتها تحت شعار عطاء بلا حدود .

ويستطرد الدكتور في حديثه عن الاستلاب العقائدي بأنه في قناعة المرأة الداخلية أن من واجبها الطاعةَ للزوج وللأب قبله ، وان لها عليهما حق الاعالة والتربية والستر والحماية ، « وان طبيعتها تتلخص في جسد يلبس وقوام يجذب ، ورحم ينجب ، ولسان يشكو ويتطلب ويكذب ، وأيد تطهو وتغسل وتمسح . من خلال هذا الاستلاب يصل القهر اقصاه »[2] . إن رأي الدكتور حجازي هنا في هذا الاستلاب العقائدي ليس له ما يؤيده غير خيالات او أحداث فردية لا تمثل اي نوع من الاستقراء المنطقي ، كما اني لا اعلم شيئاً عن مصادره التي رجع اليها وألصقها بالتشريع الاسلامي .

ان العقيدة الاسلامية ، وما يصدر عنها من تشريعات سماوية لا يشك احد في انها لصيقة لفطرة الانسان كما وضحت في حديثي عن الاسلام دين الفطرة : (...فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا...)فهي ملائمة لطبيعة

---

1 ـ المصدر نفسه ص 334 .

2 ـ المصدر نفسه ص 335 .

(3) سورة الروم الآية: 147.

تكوين الفتى والفتاة، وليست مقصورة في التجاوب على احدهما دون الآخر.

ونظرة الاسلام للمرأة هي أفضل وأصوب ما كان وما سيكون في تاريخ البشرية كلها ، ولا يمكن ان يترتب عليها ايُّ قهر أو تسلط او ظلم . وهذا من جانب ، ومن جانب آخر لا يمكن ان يكون الدين الاسلامي السَّمْح دينَ تسلط وقهر وظلم واجحاف واستذلال للانسان ، كما ان الدين الاسلامي لا يُلْقِي بالتهم على المرأة ، ولا يقول عنها انها مجسدة الآثام والشرور ، ومصدر كلِّ غواية ، وليست المرأة كما يدعي مجردةً من المشاعر والاحاسيس فهي جسد يلبس ، وقوام يجذب ، ورحم ينجب ، ولسان يشكو ويكذب الى آخر قوله ، ولو كان الامر كما يدعي ما كانت هذه الشريعة شريعة سماوية ، وما كانت صالحة لكل زمان ومكان .

وفي تصوري ان الاحكام المبنية على نظريات خاطئة واحكام مشوهة تكون غير سليمة ، واذا حاولنا النظر فيما عرضه الدكتور من معتقدات غير سوية في مفهوم مغزاها فسيطول بنا الحديث ، ويكفي ذكر ما كان عليه زوجات الرسول ﷺ في اثناء حياته وبعد وفاته ، فالرسول الكريم ﷺ كان يخصف نعله ، ويخيط ثوبه ، وهو القائل عن عائشة رضي الله عنها : « خذوا عن هذه الحُمَيْرَاء نصفَ دينكم » وقد راجعَتِ الرسولَ الكريم في بعض امور الحياة ، وناقشتْه لتصل الى ما تريد من امور الدين ، وكانت لها حريتها معه في عرض رأيها ، وإثبات شخصيتها ، والدفاع عن كيانها ، والغضب منه أحيانًا حتى رُوِيَ عنها انها قالت له ذات مرة في اثناء غضبها « أتزعم انك رسول الله » ، وحاول ابوها ذات مرة ان يصلح بينهما بضربها على موقفها منه فرفض الرسول الكريم موقفه ولم يرتح لضربها . وهذه خديجة رضي الله عنها تسعى للتزوج منه ، وتفوز به ، وتقف بجانبه تساعده ، وتدرأ عنه الخطر ، وتربي اولادها كما كانت سكناً له ، أذهبت عنه الروع ، وخففت ما به من محاولات إيذاء قريش له ، وهي التي

ساندته في دعوته ، وأول من آمنت بهﷺ دون تسلط منه ، او اذلال او غير ذلك مما ذكره الدكتور حجازي .

ولم يرو عن زوجات الرسول الكريم أي لون من ألوان الاستلاب التي ذكرها الدكتور حجازي ، ولو شعرت اي واحدة منهن بأذى يلحقها ، او يقيد حريتها لناقشت الرسول فيه ، فهو مصدر التشريع ، وعن طريقه يكون التشريع كله ، فلا بدعَ إذًا ان يسألن الرسول في كل ما يعنُّ لهن من آراء خاصة وانهن قد سألنه في امور كثيرة اتصفت بالدقة والفهم والوعي .

كما ذكر لنا التاريخ سواهن من زوجات المسلمين ، وتاريخهن حافل بالبطولات والآراء السديدة ، والحوارات الفكرية والدينية والاجتماعية ، وقد خرجن الى ساحات القتال للحرب والتمريض ، ومساعدة الجيوش باعداد الطعام والشراب والعتاد ، وكل ما يطلب منهن مثل رد المحاربين الى ساحة القتال ان فكروا في التراجع ، كما حدث في معركة اليرموك ،

والحديث عن المرأة المسلمة عبر التاريخ بل وما دونته هي عن نفسها وحياتها هي وغيرها كفيل بنقض كلِّ ما ذكره الدكتور حجازي .

واذا كانت طبيعة المجتمع ان يكون له راع ، فالاسرة لها راع واذا استحضرنا حديث الرسول ﷺ كلكم راع،وكل راع مسؤول عن رعيته . . والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها . . . الحديث ».[1]

فكيف تكون مسؤولة وصاحبة سلطة وسلطان على بيتها وهي ذليلة او مضطهدة ؟؟

ان الراعية تتحمل عبء الادارة والرئاسة والتحكم ، والقدرة على التحرك السليم في الحفاظ على كيان اسرة سليمة وكيف لها ان تعطيَ شيئاً هي فاقدة له ؟ وعلى رأي الدكتور ينتفي وجود البيت السليم والتربية

(1) صحيح مسلم.

الحسنة والقدوة الصالحة والحال يثبت عكس ذلك .

ولا يمكن للمرأة ان تشعر باستلاب لها وهي تقول كلمتها وتعبر عن رغبتها فيما تريده او لا تريده ، فقد عرض الرسول الكريم على احدى الزوجات الرفق بزوجها الذي يحبها حباً جماً ، وهي لا تريده ، ولا ترغب فيه ، فقالت الزوجة للرسولﷺ : أهو أمر ؟ فقال : لا . فقالت : إني راغبة عنه ، ولو كان هناك فرض لرضخت لأمر الرسول .

إن الرغبة والاستعداد النفسي عند الشاب والشابة هما أساس بيت الزوجية لا التسلط والاذلال .

فأين هذه المرأة المسلمة التي أثرت فيها عقيدة غير سوية من جماعة أو بيئة غير مدركة لتعاليم الاسلام الحنيف ، وغير مستشفة لحقيقة التشريع الاسلامي الصحيح .

ان الاسرة في حاجة الى قيادة حكيمة من قبل الوالدين ، كل منهما في مجال تخصصه حتى ينتظم امر الحياة بها ، واذا رزق الزوجان اولاداً ـ وهذا شيء طبيعي ـ فلا بد من وجود ريادة عامة لأحد الزوجين ، وريادة خاصة للطرف الثاني ، وكلا الريادتين يتم عن اقتناع فكري ، وطبيعة ذاتية ، وتوافر سليم عند الرائد .

فاذا انتفت شروط صحة الريادة عند الاب مثلاً انتقلت منه الى سواه ـ كما ذكرنا ـ وكذلك الامر بالنسبة للام .

ولم يقل أحد إن هذه الزوجة التي هي تحت رعاية هذا الرائد أو الراعي ذليلة او مقهورة ، او غير ذلك مما ذكره الدكتور ، فالزوج الذي ارتضته الزوجة راعياً لها في درب الحياة وشريكاً لها في انجاب اسرة سوية ترتوي بتعاليم الاسلام وخلق الرسول الكريم هو سالب لها ذاتها وكيانها .

إن الزوجة التي يتحدث عنها الدكتور تقوم مقام الزوج في اثناء غيابه في

عمله وسفره دون عائق يعوقها عن الامارة الكاملة ، فهي صنو الرجل ، وشريكة له في كل جوانب الحياة ،لها ماله وعليها ما عليه دون تفرقة ، بيد أن المرأةَ صاحبةَ المكانة العليا في نفوس الرجال والشباب والاطفال ايضاً لا بد من أن تنال بعض الامتيازات التي ترفعها عن الامتهان ، وتحفظ لها حياة مستقرةً هانئة .

ان الله سبحانه وتعالى كفل لها من يقوم برعايتها وتقديم ما تحتاج اليه في حياتها سواء أكانت في بيت والدها ، ام في بيت زوجها ، وهذا لون من التكريم والاعزاز ، لا الاذلال وفقد الشخصية ،كما ان والدها او زوجها هو مسلم يعلم حقاً ما يطلبه التشريع الاسلامي من حفاظ عليها ورعاية شخصيتها ، واعطائها حقَّها من التعليم والتثقيف والحياة الكريمة التي يضمن بها المجتمع الاسلامي قيامها بدور الامومة السليمة ، والزوجة الصالحة دون زيغ أو ضلال .

ان زوجها المسلم يعلم واجباته نحوها في معاشرتها بالمعروف او مفارقتها أيضًا بالمعروف: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ...﴾[1] الآية ولذا كانت دعوة الرسول ﷺ الى تزويج الشاب المؤمن لازمة ، وهدد الراغبات عنها من قبل اهليهم باحداث فتنة في المجتمع وفساد كبير للأسرة التي هي عماد الأمة، قال الرسول ﷺ: «إذا اتاكم من ترضون عرضه ودينه فزوجوه ، انْ لا تفعلوا تكن فتنة في الارض وفساد كبير» لأنه سيكون راعياً شريفاً مؤمناً يعرف حق الله والعباد . اما غيره الفاقد لهذه الصفات فهو مصدر لكثير من المشاكل التي تهدد الحياة الزوجية بالفشل والطلاق .

كما ان الطلاق يُعَدُّ صمام الامن للأسرة وللزوجة ، فهما به يحافظان على ذاتهما وحريتهما وكرامتهما .

والشاب ايضاً ـ مغبون في نظرة الدكتور حجازي ـ فهو مؤمن محافظ على دينه ونفسه من الانحراف ، ولا بد أن تُهيَّأ له سبل الحياة السعيدة دون

(1) سورة النساء الآية: 19.

تنغيص ولا اضرار به ، ولذا اخبرنا الرسول المعلم اننا اذا لم نتمم ونهيء للشاب زواجاً كريماً فسيتعرض لفتنة لا يعلم مداها الا الله سبحانه . فقد يفتن الشاب لهذا السبب عن دينه ، ويكون المجتمع سبباً في انحرافه ، ولهذا فالفتاة المسلمة لن تنجو من اخطار الزوج الضعيف الايمان ، لأن معاملته لن تصطبغ بهذه الصورة الجميلة للاسرة الاسلامية ، ويكون الابناء هم الضحية الكبرى ، فسينشؤون نشأة خالية من روح الاسلام ، وبعيدة عن تعاليمه ، ولهذا كان حرص الرسول على تزويج الشاب المسلم عظيماً لسعادة الزوجة والاسرة كلها ، فهو يزيد من مروءته وكرمه وحدبه كلما اسعدته زوجته وأقبلت عليه ، وهو يعاملها معاملة عادلة اذا هي جافته ، او أساءت اليه ، وجانب الاساءة في رعاية الشاب المسلم لزوجته غير وارد مطلقاً -كما وضحت- وعلى هذا فتكوين الاسرة يحتاج الى زوجين صالحين ، وكل فرد منهما « يشارك في تسيير دفة المجتمع اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وفكرياً وروحياً بصورة من الصور ، وهو في كل ذلك انسان ذو نزعتين؛ فردية وجماعية متشابكتين ومجتمعتين لا تنفصل احداهما عن الاخرى ما دامت الحياة ، لذلك كان عجيباً ما يراه فرويد وغيره من التحليليين من أن الفرد هو الضحية الدائمة للمجتمع ، وان المجتمع شيء مفروض على الانسان من خارج كيانه وضاغط عليه ، وكابت لرغباته ، ومعوق لنموه الأصيل .

وأعجب ما يراه علماء الاجتماع - الجماعيون [دركايم وأمثاله] الذين يرون المجتمع قوة قائمة بذاتها غير نابعة من كيان الافراد ، ومؤثرة في الافراد بارادة مستقلة عن ارادتهم ، اين توجد هذه القوة إذاً؟ في اي فراغ مطلق تقيم ؟ ومن اي فضاء تؤثر في حياة الافراد وتوجههم؟.

هؤلاء وهؤلاء ينحرفون في تصورهم للأمر ، لأنهم يأخذون الانسان من احد جانبيه دون الاخر ، وينظرون للحياة من زاوية رصد منحرفة لا ترى الا

جانباً واحداً من الجانبين »[1] ان الفتى والفتاة يمثلان داخل نطاق الاسرة تكويناً اجتماعياً سلبياً نابعاً من نفسيهما ، لا مفروضاً عليهما ان يعيشا حياة غريبة عن طبيعتهما ، او أن يرتبطا برباط مقدس دون أن يكون له في نفسيهما قدسية ورغبة جامحة في الحفاظ عليه .

ولهذا كان لا بد من وجود العطاء النقي السعيد من كليهما لنفسيهما ولأبنائهما ، ولولا هذا التكوين النقي ما كان المجتمع الاسلامي السليم الذي ننشده في دراستنا هذه.

والله سبحانه يأمرنا ان نعيش في كنف الجماعة متآلفين متحدين تحت راية الإسلام، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا...﴾[2] وقال سبحانه : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا...﴾[3].

ومن الغريب المرفوض ـ لديـــن الفطرة الداعي الى تكوين الروابـط الاسرية والى المحافظة عليها ـ ان يتخلله جوانب ضعف أو استلاب لأحد الطرفين ، او ان يشوبه ما يعكر صفو الأسرة ، بل على العكس فهو خير وسعادة ومتعة في الدارين ، ومتاع الدنيا حسب ترتيب الآية الكريمة هو المرأة: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ..﴾ الآية[4] فقد ذكر سبحانه وتعالى النساء أولا ثم البنين وهكذا.

ومن العبث ان يضحي الشاب بزينة الدنيا ، او يفترسها او يذلها او يستلبها .

والله الموفق للصواب

---

1 ـ دراسات في النفس الإنسانية ـ محمد قطب ص 139 ـ 140 .

2 ـ سورة الحجرات من الآية 13 .

3 ـ سورة آل عمران من الآية 103 .

4 ـ سورة آل عمران من الآية 14 .

م	اسم الكتاب	المؤلف	الناشر
1 ـ	أسباب نزول القرآن للواحدي	أبو الحسن علي بن أحمد	دار الكتاب ـ القاهرة 1969.
2 ـ	أسس الصحة النفسية	د. عبد العزيز القوصي	مطبعة السعادة ـ مصر.
3 ـ	إعجاز القرآن والبلاغة	مصطفى صادق الرافعي	دار الكتاب العربي ـ بيروت سنة 1973.
4 ـ	الأحوال الشخصية	محمد أبو زهرة	دار الفكر العربي ـ بيروت.
5 ـ	الأذكياء ـ لابن الجوزي	أبو الفرج عبد الرحمٰن	المكتب التجاري ـ بيروت.
6 ـ	الأسس النفسية والتربوية	د. عمر محمد التومي الشيباني	دار الثقافة ـ بيروت.
7 ـ	الإسلام والحضارة الإنسانية	د. محمد عبد المنعم خفاجي	دار الكتاب اللبناني ـ بيروت
8 ـ	الأصول الافلاطونية (المأدبة)	د. علي سامي النشار وغيره	دار الكتاب الجامعية ـ الاسكندرية
9 ـ	الألف المختارة من صحيح البخاري	د. عبد السلام محمد هارون	دار المعارف ـ مصر سنة 1961
10 ـ	التخلف الاجتماعي	د. مصطفى حجازي	معهد الانماء العربي ـ بيروت
11 ـ	الحب العذري نشأته وتطوره	أحمد عبد الستار الجواري	دار الكتاب العربي ـ مصر سنة 1948
12 ـ	الحب في التراث العربي	د. محمد حسن عبد الله	عالم المعرفة ـ الكويت سنة 1980
13 ـ	الشباب ماضيه، حاضره، مستقبله	عادل طاهر	الانجلو المصرية ـ القاهرة
14 ـ	الشخصية الناجحة ـ	سيجموند فرويد/ مصطفى غالب	دار مكتبة الهلال ـ بيروت سنة1980
15 ـ	الشرق في فجر اليقظة	أنور الجندي	مكتبة الانجلو المصرية ـ القاهرة
16 ـ	الفكر الديني في مواجهة العصر	د. عفت محمد الشرقاوي	دار العودة ـ بيروت ط2 سنة1979
17 ـ	المسألة الاجتماعية بين الإسلام والنظم البشرية	عمر عودة	مؤسسة الرسالة ـ بيروت
18 ـ	المسلمون والعلم الحديث	عبد الرزاق نوفل	دار الكتاب العربي ـ بيروت
19 ـ	تغلب على الخوف	سيجموند فرويد / د. مصطفى غالب	مكتبة الهلال سنة 1979
20 ـ	تفسير الطبري جـ2، 6	الطبري	القاهرة
21 ـ	حديث الاربعاء	د. طه حسين	دار المعارف القاهرة
22 ـ	حياة محمد	محمد حسين هيكل	النهضة المصرية ط9 سنة1965
23 ـ	خير سني العمر	والتر ب بتكن ترجمة عبد المنصف محمود	سلسلة من الشرق والغرب ـ القاهرة
24 ـ	دراسات في النفس الإنسانية	محمد قطب	دار القلم ـ القاهرة سنة1975
25 ـ	روضة المحبين	ابن القيم الجوزية	دار الكتب العلمية ـ بيروت
26 ـ	صحيح مسلم	أبو الحسين مسلم القشيري	دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة
27 ـ	عبقرية عمر	عباس محمود العقاد	دار المعارف ـ مصر
28 ـ	علم النفس الاكلينيكي	مصطفى فهمي	مكتبة مصر ـ القاهرة

29 ـ علم النفس والاخلاق (تحليل نفسي للخلق) | ج. أ. هادفيلد/ ترجمة عبد الحميد أبو العزم | مكتبة مصر ـ القاهرة
30 ـ فلسفة التربية الإسلامية | د. عمر التومي الشيباني | الشركة العامة للتوزيع طرابلس
31 ـ مدارج السالكين ط 1 ـ 2 ـ 3 | ابن القيم الجوزية | مطبعة السنّة المحمدية ـ القاهرة
32 ـ مذكرات قليني فهمي | قليني فهمي | القاهرة
33 ـ مشكلة الحرية في الإسلام | جميل. م. منيمنة | دار الكتاب ـ بيروت
34 ـ وحي القلم ط 1 ـ 2 ـ 3 | مصطفى صادق الرافعي | دار المعارف ـ القاهرة
35 ـ الدوريات: | مجلة المشير ـ القاهرة16/ 6/ 898

المحتوى

المقدمة 9

القسم الأول

التكوين السليم للشباب 17

تمهيد 19

تنظيم دوافع الشباب في التشريع 21

رعاية الإسلام لصحة الشباب 29

رعاية الإسلام لعقلية الشباب 35

الإسلام وقلق الشباب 41

الإسلام والنهضة العلمية للشباب 49

موقف الشباب من الصراعات الفكرية 57

القسم الثاني

عواطف الشباب 63

تمهيد 65

المثل العليا للشباب في الإسلام 67

الإيثار والشباب 77

موقف الإسلام من حب الشباب 81

القسم الثالث

حرية هادفة 93

تمهيد 95

حرية الشباب 97
تنظيمات الشباب المحلية 105
تنظيمات الشباب الدولية 115
التربية العسكرية للشباب 121
القسم الرابع
العلاقات الخاصة والعامة للشباب 127
تمهيد 129
المعاملات الإسلامية للشباب 131
الولاية الإسلامية على الشباب 135
معاملة الشباب سواهم من غير المسلمين 137
مزاعم وأباطيل 143
المراجع 155